# الفصل الثاني: حياة الطوفي[1]:

**١- اسمه:**

هو الشيخ العلامة سليمان بن عبد القوي[2] بن عبد الكريم بن سعيد بن الصفي[3].

**٢- كنيته ولقبه:**

يكنى بأبي الربيع، وأبي العباس، ويلقب بنجم الدين[4]، الطوفي[5]، الصرصري ثم البغدادي فالدمشقي ثم المصري الحجازي فالمقدسي[6].

---

(١) ترجمته في: الدرر الكامنة ٢/ ١٥٤-١٥٧، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٦ - ٣٧٠، وشذرات الذهب ٦/ ٣٩-٤٠، والأنس الجليل ٢/ ٢٥٧، وجلاء العينين ص ٣٦-٣٧، ومرآة الجنان ٤/ ٢٥٥، وبغية الوعاة ص ٢٦٢، والمصلحة المرسلة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي، وكشف الظنون، ايضاح المكنون في عدة أماكن، والأعلام ٣/ ١٢٧ - ١٢٨.

(٢) في الأنس الجليل، وكشف الظنون (٢/ ٦٨٨): سليمان بن عبدالله بن عبدالكريم. وفي كشف الظنون (٢/ ٩٦) وايضاح المكنون (١/ ٨٣، ١/ ٤٤٣): سليمان بن عبدالله بن عبدالقوي بن عبدالكريم.

(٣) في ذيل طبقات الحنابلة، وجلاء العينين: المعروف بابن البوقي. وفي هامش الدرر الكامنة نقلا عن طبقات الحنابلة: والشطي، وفي كشف الظنون (١/ ٤٤٣): المعروف بابن السوقي.

(٤) في كشف الظنون (١/ ١٦١٦): محي الدين.

(٥) في الأنس الجليل، وكشف الظنون (٢/ ٦٨٨): الطوخي.

(٦) في مرآة الجنان: النسفي.

والطوفي: بضم الطاء واسكان الواو وبعدها فاء: نسبة إلى (طوف) أو (طوفى)[1] قرية تبعد عن بغداد بفرسخين.

والصرصري: نسبة إلى صرصر: موضع من نواحي بغداد ومن قرى نهر الملك ومنها: العليا والسفلى: والعليا على جانبه الشمالي، وهي في طريق الحاج، وهذه تعرف بصرصر الدير لأن ديرا كان فيها[2].

٣- مولده:

اختلف الذين ذكروا سنة ولادة الطوفي من المترجمين له، فابن رجب الحنبلي [3] يقول: "ولد سنة بضع وسبعين وستمائة بقرية طوفى من أعمال صرصر" . وتابعه في ذلك: أبو اليمن العليمي[4] في الأنس الجليل، وابن العماد[5] في شذرات الذهب.

---

(١) في الأنس الجليل: طوخي، وهو تصحيف.

(٢) انظر مراصد الاطلاع ٢/ ٨٣٨).

(٣) زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي المشهور بابن رجب المتوفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة للهجرة. (انظر مقدمة ذيل طبقات الحنابلة).

(٤) عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي مجير الدين العمري المنتهي نسبه إلى عبدالله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ المتوفى سنة ثمان وعشرين وتسعمائة للهجرة (انظر مقدمة الأنس الجليل).

(٥) أبو الفلاح عبدالحي بن أحمد بن محمد المعروف بابن العماد العكري الدمشقي الحنبلي العالم الأديب المؤرخ المتفنن المتجول في المذاكرة والاستحضار والتمتع بالخزائن العلمية وتقييد الشوارد من كل فن. توفي سنة تسع وثمانين وألف، ودفن بالمعلاة بمكة المكرمة. (انظر مقدمة تحقيق شذرات الذهب).

وقال ابن الألوسي[1] في جلاء العينين: ولد سنة بضع وستمائة...

وبعضهم لم يذكر السنة التي ولد فيها. ولكن ذكرها على وجه التحديد الامام ابن حجر العسقلاني[2] في كتابه الدرر الكامنة، ولكنه خالف ابن رجب ومن تابعه حيث ذكر أنه ولد عام سبعة وخمسين وستمائة للهجرة.

وقد رجح الدكتور مصطفى أبو زيد في كتابه "المصلحة المرسلة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي ص ٦٨- ٦٩ أنه ولد سنة خمس وسبعين وستمائة للهجرة فقال: "والذي يبدو أن الطوفي ولد عام ٦٧٥هـ" فحرف الرقم إلى ٦٥٧هـ في كتب ابن حجر ذلك أن المؤلفات التي بدأ بها الطوفي حياته العلمية ومن بينها: "الاكسير في قواعد التفسير" وقد ألفه قبل أن ينتهي القرن السابع يبدو فيها طابع الشباب الذي كان الطوفي يجتاز مرحلته حينذاك، إذ لم يكن فيها من دلائل ثورة الطوفي الفكرية وتحرره شيء، وكان معظم ما فيها تكرار لمن سبقه، مع شيء من التنظيم.

ورد هذا الترجيح الدكتور حمزة الفعر في رسالته التي تقدم بها لنيل درجة الكتوراه بعنوان: سواد الناظر وشقائق الروض الناضر في أصول الفقه للكناني[3] تحقيق ودراسة.

---

(١) نعمان بن محمود بن عبدالله، أبوالبركات خير الدين الألوسي الواعظ الفقيه الباحث ولد ونشأ ببغداد وتولى القضاء في بلاد متعددة. توفي ببغداد سنة سبع عشرة وثلاثمائة وألف للهجرة (مقدمة جلاء العينين).

(٢) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المصري المولد والمنشأ والوفاة الشافعي المذهب شهاب الدين أبوالفضل المحدث المؤرخ، الأديب الشاعر المتوفى سنة تسع عشرة وثمانمائة للهجرة. (معجم المؤلفين ١/ ٢٠-٢١).

(٣) أبوالحسن علاء الدين علي بن محمد بن محمد بن علي بن عبدالله الكناني العسقلاني الحنبلي المتوفى سنة ٧٧٧هـ. (انظر ترجمته الوافية في مقدمة الرسالة المذكورة ص ١١٨ - ١٣٩).

وذكر عدة أمور ترجح أن مولده في سنة سبع وخمسين وستمائة للهجرة هي:

١- أن ما ذكره الإمام ابن حجر من أن مولده عام ٦٥٧هـ، ليس محرفا عن عام ٦٧٥هـ بدليل أنه لم يوجد من ينص على أن الطوفي ولد في عام ٦٧٥هـ حتى يمكن التسليم بأنه محرف عنه، وإنما ذكر ابن رجب ومن تابعه أنه ولد عام بضعة وسبعين وستمائة وليس في هذا نص على أنه ولد عام ٦٧٥هـ.

٢- أن الذي ذكر أنه ولد في عام بضعة وسبعين إنما هو ابن رجب وحده ونقل عنه ابن العماد والعليمي هذا، فهم اعتمدوا على ما ذكره ابن رجب وعليه فإن القائل واحد هو ابن رجب.

٣- أن ما ذكره ابن رجب مبهم وهو قوله بضع وسبعين، وما ذكره ابن حجر صريح لا يحتمل، فيتعين المصير إليه، فلا يقال لعل الناسخ حرف لأن هذا الفرض لا دليل عليه، وهو معارض بمثله، إذ يمكن أن يفرض هذا فيما ذكره ابن رجب "١٠هـ

قلت: ثم إن نسخ كتاب ابن حجر كلها المطبوعة والمخطوطة متفقة على أن ولادته سنة سبع وخمسين وستمائة للهجرة. فلا دليل على التحريف.

٤- يقول الدكتور حمزة: "حفظ الطوفي لمختصر الخرقي[1]، واللمع

---

(١) أبوالقاسم عمر بن الحسين بن عبدالله بن أحمد الخرقي نسبة إلى بيع الخرق والثياب، أحد الأئمة الحنابلة، صنف في مذهبهم كتبا كثيرة منها هذا المختصر الذي اشتغل به أكثر المبتدئين في فقه الحنابلة. وأكثر كتبه احترقت ببغداد. توفي في دمشق سنة ٣٣٤هـ. (انظر طبقات الحنابلة ٢/ ٧٥-١١٨، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٤١، وتاريخ بغداد ١١/ ٢٣٤).

لابن جني[1] وقراءته للفقه بصرصر، وحفظه للمحرر، ومجالسته لأكابر العلماء في بغداد وبحثه فنون العلم، وتأليفه لكتاب الإكسير قبل نهاية القرن السابع. كل هذا يشعر بتقدم ولادته عما ذكرابن رجب" اهـ.

قلت: وقول الدكتور مصطفى أبو زيد: ... إذ لم يكن فيها من دلائل ثورة الطوفي الفكرية وتحرره شيء". يرد عليه بأن قول الطوفي في مقدمة الإكسير: " ولم أضع هذا القانون لمن يجمد عند الأقوال، ويصمد لكل من أطلق لسانه وقال، بل وضعته لمن يغتر بالمحال، وعرف الرجال بالحق، لا الحق بالرجال وجعلته..." يدل على ثقته بنفسه واعتداده بها وأنه صاحب فكر قوي لا يصل إليه إلا من بلغ في العلم مكانة مرموقة.

ولهذا كله فإني أرجح ما سبقنى إليه الدكتور حمزة الفعر، من أن ولادة الطوفي كانت سنة سبع وخمسين وستمائة للهجرة. والله أعلم.

## نشأته وأسرته:

كانت نشأته الأولى في قريته "طوفى" وكان أثناء ذلك يتردد على أهل العلم بصرصر القريبة من بغداد وبقي بتلك القرية حتى سنة إحدى وتسعين

---

(١) أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي المشهور بإمامته في العربية. كان أبوه روميا مملوكا. وله تصانيف مفيدة في النحو منها المذكور. وله شعر، وشروح لبعض دواوين الشعراء، وكان المتنبي يقول: "ابن جني أعرف بشعري مني". توفي ببغداد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة للهجرة.
(انظر: وفيات الأعيان ٣/ ٢٤٦ - ٢٤٨، وشذرات الذهب ٣/ ١٤٠ - ١٤١، والأعلام ٤/ ٢٠٤).

وستمائة ثم دخل بغداد.

ولم يذكر المؤرخون للطوفي عن أسرته شيئا ولكن يبدو أنها كانت تسكن قرية طوفى حتى انتقل الى بغداد فانتقلت معه ثم انتقلت معه إلى دمشق ثم إلى مصر وقوص وكانت معه عندما نزل بيت المقدس في آخر حياته. يقول ابن حجر في الدرر الكامنة: " وكان موته ببلد الخليل... وعاش أبوه بعده سنوات.

## طلبه للعلم وفقهه وأدبه:

جد الطوفي ـ رحمه الله ـ في طلب العلم منذ الصغر، فقد بدأ في قريته "طوفى" يطلب العلم ويتصل بالعلماء ويجلس في مجالسهم لطلبه، ويحفظ المتون، والمختصرات.

ففي طوفى تتلمذ على بعض شيوخها، وحفظ مختصر الخرقي، واللمع لابن جنى، ثم أخذ يتردد على صرصر، فقرأ الفقه بها على الشيخ شرف الدين على بن محمد الصرصري الحنبلي[1]، ثم دخل بغداد سنة إحدى وتسعين وستمائة وقرأ العلوم وناظر وبحث ببغداد. فحفظ المحرر في الفقه للإمام مجد الدين عبد السلام بن عبدالله بن تيمية[2]، ثم بحثه على شيخه تقي الدين

---

(١) ستأتي ترجمته في شيوخ الطوفي.

(٢) مجد الدين أبوالبركات عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية الحراني جد شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم. ولد مجد الدين بحران وحدث بالحجاز والعراق والشام ثم ببلده حران التي توفي بها سنة اثنتين وخمسين وستمائة للهجرة.
(انظر فوات الوفيات ٢/ ٣٢٣ - ٣٢٤، وشذرات الذهب ٥/ ٢١٢، والأعلام ٤/ ٦).

الزريراتي[1]، ثم قرأ العربية على شيخه أبي عبدالله الموصلي[2]، وتلقى أصول الفقه على النصير الفاروثي[3] وغيره، وسمع الحديث عن مجموعة من العلماء منهم:

الرشيد بن القاسم [4] ،وابن الطبال [5]، والحفيد الحراني[6]، وأبوبكر القلانسي[7] وغيرهم... في المدرسة المستنصرية وغيرها.

وقد درس الجدل، وأفرد مؤلفا للجدل في القرآن الكريم، ودرس المنطق والفرائض، وكان لدراسته للجدل والمنطق أثر في معظم مؤلفاته بعد ذلك، لأنه صار جريئا في تفكيره، حر الرأي إلى حد بعيد.

ولقد أصبح الطوفي في بغداد فقيها أصوليا بارعا، واختار مذهب الامام أحمد فكان أحد فقهاء الحنابلة في بغداد، كما أصبح في نفس الفترة شاعرا أديبا، وهكذا كان طلبه للعلم في بغداد مقبلا على العلم والدرس والقراءة والحفظ ثم التصنيف.

وفى سنة ٧٠٤هـ سافر إلى دمشق فكان موضع التقدير والإجلال من

---

(١) ستأتي ترجمته في شيوخ الطوفي.

(٢) ستأتي ترجمته في شيوخ الطوفي.

(٣) ستأتي ترجمته في شيوخ الطوفي.

(٤) ستأتي ترجمته قريبا ـ إن شاء الله.

(٥) ستأتي ترجمته قريبا ـ إن شاء الله.

(٦) ستأتي ترجمته قريبا ـ إن شاء الله.

(٧) ستأتي ترجمته قريبا ـ إن شاء الله.

الفقهاء والمحدثين فيها والعلماء كافة، ولم ينقل عنه أنه انحرف عما هو عليه في الفقه والتفكير، وجلس في حلقات شيخ الإسلام ابن تيمية كما سيأتي، ودرس عليه ابن تيمية النحو أياما والتقى بالعلماء الأفاضل في دمشق منهم الشيخ أبو الحجاج المزى[1]، والشيخ أبو محمد القاسم البرزالي الإشبيلي[2] وتقي الدين بن حمزة[3] وهم من أعيان المذهب الحنبلى، وقد سمع عن ابن حمزة الحديث أيضا.

وبعد عام من نزوله دمشق توجه تلقاء القاهرة بمصر، وحرص على طلب العلم وسمع العلماء، فسمع فيها الحديث من الحافظ عبدالمؤمن بن خلف[4] وسمع من القاضي سعد الدين الحارثي[5]، وقرأ على أثير الدين أبي حيان النحوي مختصره لكتاب سيبويه، وتولى الإعادة أو التدريس بالمدرسة الصالحية التي ألف فيها هذا الكتاب "الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية"، ثم تولى الإعادة بالمدرسة المنصورية، التي أعاد فيها النظر في هذا الكتاب فقراه، وألحق به بعض الفوائد سنة ثمان وسبعمائة للهجرة، ثم تولى الإعادة بعد ذلك في الناصرية حتى نفي إلى قوص في صعيد مصر بسبب سوء الصلة بينه وبين شيخه سعد الدين الحارثي، فقد خالفه الطوفي في بعض ما قرره سعد الدين في أحد الدروس ويبدو أن الطوفي كان مقتنعا برأيه إلى درجة أغضبت شيخه وفسرت بأنها إساءة أدب مع

---

(١) ستأتي ترجمته قريبا ـ إن شاء الله.

(٢) ستأتي ترجمته قريبا ـ إن شاء الله.

(٣) ستأتي ترجمته قريبا ـ إن شاء الله.

(٤) ستأتي ترجمته قريبا ـ إن شاء الله.

(٥) ستأتي ترجمته قريبا ـ إن شاء الله.

أستاذه الذي يكرمه ويبجله، فثار لأستاذه ابنه شمس الدين عبدالرحمن[1] فوكل أمر الطوفي إلى بدر الدين بن الحبال[2]ـ أحد النواب ـ أو رجال الإدارة في تلك السنة ـ وسرعان ما أشهد هذا عليه بالرفض، وأخرج بخطه هجوا في الشيخين... ثم مضت الحيلة في الطريق المرسوم فعزر الطوفي وطيف به ثم نفي إلى قوص وقيل: نفي إلى الشام، وكان قد هجا أهلها فتوجه إلى دمياط ثم إلى قوص ولقي بها جماعة من العلماء.

وبقي في قوص عدة سنوات ولم يتوان عن القراءة والاطلاع والتحصيل فقرأ الحديث وصنف كثيرا من الكتب حتى يقال: إن له خزانة كتب بقوص.

يقول كمال الدين جعفر الأدفوي [3]: "كان كثير المطالعة، أظنه طالع أكثر كتب خزائن قوص"[4].

واشتغل فيها بالتأليف فقد ألف فيها عددا من كتبه منها "الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية".

---

(١) عبدالرحمن بن مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد الحارثي ثم المصري، الفقيه المناظر الأصولي، ولد سنة إحدى وسبعين وسبعمائة للهجرة، وسمع من والده وغيره بمصر، وبدمشق من جماعة منهم: ابن النحاس، وفي الاسكندرية من شهاب الدين أحمد القرافي. توفي بالقاهرة سنة ٧٣٢هـ.

(انظر الدرر الكامنة ٢/ ٣٤٧، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٢٠-٤٢١).

(٢) محمد بن أحمد بن عبدالله بن أبي الفرج الحراني الحنبلي نزيل مصر، فقيه ولد بعد سنة سبعين وستمائة تقريبا، ناب في الحكم بظاهر القاهرة، وله شرح مختصر الخرقي، وغيره. توفي سنة تسع وأربعين وسبعمائة للهجرة. (انظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٤٢، وشذرات الذهب ٦/ ١٥٧).

(٣) جعفر بن ثعلب بن جعفر أبوالفضل، المؤرخ، وله علم بالفقه والفرائض والأدب، ولد بإدفو بصعيد مصر، وتعلم في قوص والقاهرة، توفي في القاهرة سنة ٧٤٨هـ. (انظر شذرات الذهب ٦/ ١٥٣، والدرر الكامنة ١/ ٥٣٥).

(٤) الدرر الكامنة ٢/ ٥.

ثم رحل إلى الحجاز فحج وجاور في الحرمين سنة ٧١٤هـ وقرأ بها كثيرا من الكتب ثم رحل إلى القدس فبقي فيها حتى توفي سنة ٧١٦هـ.

ولم ينقطع عن العلم والتحصيل والتأليف وكان آخر مؤلف ألفه في بيت المقدس هو كتابه" الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية".

وللطوفي مشاركات أدبية. يقول العليمي ـ رحمه الله ـ: "وله نظم كثير رائق وقصائد في مدح النبي ﷺ ،وقصيدة طويلة في مدح الإمام أحمد ـ رضي الله عنه ـ[1] أولها:

ألذ من الصوت الرخيم إذا شدا

وأحسن من وجه الحبيب إذا بدا

ثناء على الحبر الهمام ابن حنبل

إمام التقى محي الشريعة أحمدا [2]

قلت: ومن مدحه له أيضا:

روى ألف ألف من أحاديث أسندت

وحصلها حفظا بقلب محصل

---

(١) أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي، أصله من مرو، وكان أبوه والي سرخس، ولد أحمد ببغداد ونشأ منكبا على طلب العلم، وسافر في سبيله كثيرا، وكان إمام المذهب الحنبلي ومن أشهر مصنفاته المسند. في أيامه كانت فتنة القول بخلق القرآن، سجن وعذب وجلد من أجلها، لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وخرج من السجن بعد أن قضى فيه ثمانية وعشرين شهرا سنة ٢١٠هـ. توفي في عهد المتوكل سنة ٢٤١هـ.

[ انظر صفوة الصفوة ٢/ ٣٣٦ - ٣٥٨، والأعلام ١/ ٢٠٣].

(٢) انظر الأنس الجليل ٢/ ٢٥٦.

أجـاب على تسعين ألف قضية

بحـــــــدثنا لا من صحائف نقل

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: * وله قصيدة في المولد أولها:

إن ساعدتك سوابق الأقدار * فانخ مطيك في حمى المختار

وقصيدة في ذم أهل الشام أولها:

جد للمشوق ولو بطيف كلام * .....اهـ[1]

ومن شعر الطوفي في ذم دمشق:

قوم إذا دخل الغريب بأرضهم * أضحى يفكر في بلاد مقام

بثقالة الأخلاق منهم والهواء * والماء وهي عناصر الأجسام

ووعورة الأرضين فامش وقع * ونم كبعير المستعجل التمتام

بجوار قاسيون هم وكأنهم * من جرمه خلقوا بغير حصام [2]

وله قصيده في العقيدة[3].

كمـا أن مؤلفـاته الأدبية: الرحـيق المسلسل في الأدب، وموائد الحـيس في شعـر امرىء القـيس، والشعـار المختار علي مـختـار الأشعار، وشـرح مقـامات الحريري، وغيرها تدل على مكانته في الأدب والشعر.

---

(١) الدرر الكامنة ٢/ ١٥٧.

(٢) الدرر الكامنة ٢/ ١٥٥.

(٣) كشف الظنون ٢/ ١٣٤٣.

شيوخه:

عرفنا مما تقدم حرص الطوفي على اتصاله بالعلماء، ومجالسهم منذ صغره وهو في قريته "طوف" أو طوفى "وكيف" يتردد على مشايخ صرصر، ثم قربه من مشاهير بغداد والأخذ عنهم، بل لقد أمضى جل عمره في التنقل بين بغداد ودمشق، والقاهرة، والصعيد، والحرمين الشريفين، يجالس العلماء الفضلاء، فيرشف من ينابيع علومهم وشتى فنونهم، مسترشدا بكتب العلماء السابقين له، واستظهارها حفظا.

ومن أشهر العلماء الذين جالسهم وطلب العلم على أيديهم وأروى بهم ظمأه في طلب العلم:

١- زين الدين علي بن محمد الصرصري، وهو شيخه في قريته طوف.

ذكره المؤرخون للطوفي ومنهم ابن رجب ـ رحمه الله ـ في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧)، وابن حجر ـ رحمه الله ـ في الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٢/ ١٥٤)، ولم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مراجع في تاريخ الأعلام.

٢- الشيخ تقي الدين أبوبكر عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن إسماعيل ابن أبي البركات بن مكي بن أحمد الزريراتي، البغدادي، فقيه العراق ولد في جمادى الآخر سنة ثمان وستين وستمائة. وحفظ القرآن وله سبع سنين وسمع الحديث من إسماعيل بن الطبال ـ الآتية ترجمته قريبا ـ وغيره. وتفقه ببغداد على جماعة من العلماء ثم ارتحل إلى دمشق فقرأ مذهب الإمام أحمد على جمع من العلماء الحنابلة فيها، ثم عاد إلى بلده، وكان عارفا بأصول الدين والفقه والفرائض والحديث وأسماء الرجال والتواريخ واللغة العربية. وانتهت إليه

رئاسة الفقه في العراق. وله اليد الطولى في المناظرات والبحث ومعرفة مذاهب الناس، وكان يرجع إلى ما يقول. حتى ابن المطهر شيخ الشيعة[1] في عهده كان الشيخ تقي الدين يبين له خطأه في نقله لمذهب الشيعة فيذعن له. وقال له بعض أئمة الشافعية يوما: أنت اليوم شيخ الطوائف ببغداد.

درس في المستنصرية، وتوفي ليلة الجمعة ثاني عشرين من جماد الأولى سنة تسع وسبعمائة ودفن بمقبرة الإمام أحمد. ومدحه الناس ورثوه كثيرا، وقد قرأ عليه الطوفي كتاب المحرر[2].

٣- النصير الفاروثي[3]:

نصير الدين أبوبكر عبدالله بن عمر بن أبي الرضى الفاروثي الشافعي، (بضم الراء بعدها واو ساكنة آخره ثاء مثلثة) قرية من قرى شيراز، وسكن بغداد ثم قدم دمشق وكان ممن التقى به من العلماء البرزالي وقد ترجم له في تاريخه فهو

---

(١) الحسن، ويقال: الحسين بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي من أئمة الرافضة، وعلمائهم الكبار، ولد بالحلة بالعراق، وسكنها ومات فيها، له كتب كثيرة تبين انحرافه وسوء عقيدته، ومنها كتابه: "منهاج الكرامة، أو الندامة" الذي رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بكتاب منهاج السنة توفي ابن المطهر سنة ٧٢٦هـ. (انظر الأعلام ٢/ ٢٢٧ - ٢٢٨، والدرر الكامنة ٢/ ٧١).

(٢) انظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤١٠-٤١٢، ٣٦٦، والدرر الكامنة ٢/ ١٥٤، وشذرات الذهب ٦/ ٨٩-٩٠.

(٣) في الدرر الكامنة "ط دار الجيل نصير الدين الفاروقي. وجاء في شذرات الذهب ٦/ ٣٩ أن ممن قرأ عليهم الطوفي: "النصير الفارقي" وفي ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٦: "النصر الفاروقي" والصحيح ما أثبتناه نسبة إلى قرية فاروث - والله أعلم-.

يقول عنه: "قدم علينا دمشق، وكان يعرف الفقه والأصلين والعربية والأدب، وكان جيد المناظرة....."

وقال الذهبي: " قدم دمشق وتكلم فظهرت فضائله".

درس الفاروثي ـ رحمه الله ـ في المدرسة المستنصرية ببغداد وغيرها من المدارس الكبار. وكان من كبار الشافعية. توفي- رحمه الله- في بغداد سنة ست وسبعمائة للهجرة[1].

٤- أبوعبدالله محمد بن الحسين الموصلي:

هكذا ذكره المؤرخون للطوفي كابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٦)، وابن حجر في الدرر الكامنة (٢/ ١٥٤)، والسيوطي في بغية الوعاة (١/ ٩٥)، ولم أجد له ترجمة فيما استطعت الوصول إليه من مراجع الأعلام.

٥- إسماعيل بن الطبال:

وهو إسماعيل بن أحمد بن إسماعيل بن حمزة المبارك الأزجي الحنبلي، أبوالفضل عماد الدين ابن الطبال. شيخ الحديث بالمدرسة المستنصرية ببغداد.

ولد سنة إحدى وعشرين وستمائة للهجرة وسمع جامع الترمذي على عمر

---

(١) انظر ترجمته في الدرر الكامنة ٢/ ٢٨١، وشذرات الذهب ٦/ ١٣-١٤.

ابن كرم [1]، وسمع منه الحديث ومن ابن روزبة[2]، ومن القطيعي[3] صحيح البخاري[4]، وحدث بصحيح البخاري وبسنن النسائي [5] عن القطيعي، وولي

---

(١) عمر بن كرم بن أبي الحسن أبوحفص الدينوري ثم البغدادي الحمامي، ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة للهجرة سمع الحديث من عدد من العلماء وكان صالحا توفي سنة ٦٢٩هـ (انظر شذرات الذهب ٥/ ١٣٢).

(٢) أبوالحسن علي بن أبي بكر بن روزبة البغدادي القلانسي العطار الصوفي حدث بالصحيح ببغداد وحران وحلب وغيرها توفي فجأة في ربيع الآخر سنة ٦٣٣هـ وقد نيف على التسعين. (انظر شذرات الذهب ٥/ ١٦٠).

(٣) أبوالحسن محمد بن أحمد بن عمر البغدادي المحدث المؤرخ، وهو أول شيخ ولي المستنصرية توفي في ربيع الآخر سنة ٦٣٤هـ (انظر شذرات الذهب ٥/١٦٨).

(٤) أبوعبدالله محمد بن إسماعيل بن المغيرة بن بردزبة البخاري نسبة إلى بخارى أعظم مدن ما وراء النهر ـ الجعفي ـ لأن جده المغيرة أسلم على يد اليمان بن أخنس الجعفي والي بخارى ـ ولد البخاري سنة أربع وتسعين ومائة من الهجرة· وأخذ يحفظ الحديث وهو دون العاشرة... روي عنه أنه قال: "أحفظ مائة ألف حديث صحيح، وأحفظ مائتي ألف حديث غير صحيح" امتحنه جماعة من أهل الحديث في مائة حديث مغلوطة الأسانيد فرواها على الوجه الصحيح تلقى الناس عنه ولم يبلغ الثامنة عشرة· له آراء فقهية مشهورة· من أشهر كتبه "الصحيح" الذي لم يضع فيه حديثا حتى يصلي ركعتين ويستخير الله في وضعه، بعد استكمال وسائل الدقة والصواب.

توفي ـ رحمه الله ـ سنة ست وخمسين ومائتين من الهجرة· (الرسالة المستطرفة ص٩، وتاريخ بغداد ٢/ ٢٠ وما بعدها).

(٥) هو أبوعبدالرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي، وقيل أحمد بن شعيب بن علي القاضي الحافظ شيخ الإسلام الشافعي صاحب السنن الكبرى، والصغرى، كان مهيبا قويا لا يحب مجالس السلطان. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ثلاث وثلاثمائة للهجرة. (انظر طبقات الشافعية ٢/ ٨٣-٨٤ والبداية والنهاية ١١/ ١٢٣- ١٢٤).

مشيخة المستنصرية بعد ابن أبي القاسم ـ الآتي ـ وكان مكثراً. أخذ عنه جماعة كبيرة من العلماء، مات ببغداد في شهر شعبان سنة ثمان وسبعمائة للهجرة[1].

٦- الرشيد ابن أبي القاسم:

هو رشيد الدين أبوعبدالله محمد بن عمر بن أبي القاسم البغدادي الحنبلي مقرىء، محدث صوفي كاتب، ولد ليلة الثلاثاء ثالث عشر ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وستمائة وسمع الحديث من كثير من العلماء كابن روزبة ـ المتقدم ـ وغيره من علماء الحديث وعني بالحديث، وسمع الكتب الكبار، وكان من أعيان بغداد، عالما صالحا حسن الأخلاق من أجلاء أهل العدل، سمع تحديثه خلق كثير من أهل بغداد والرحالين إليها، وانتهى إليه علو الإسناد، توفي في جماد الآخرة ببغداد، ودفن بمقبرة الإمام أحمد[2].

٧- المفيد عبد الرحمن بن سليمان:

مفيد الدين أبومحمد عبدالرحمن بن سليمان بن عبدالعزيز المجلخ الحربي، الضرير، الفقيه، معيد الحنابلة في المستنصرية ببغداد. سمع من الشيخ مجد الدين ابن تيمية وغيره من المتأخرين روى كتاب الخرقي ـ الذي حفظ مختصره الطوفي في قريته طوفى ـ عن شيوخه.

---

(١) انظر ترجمته في الدور الكامنة (١/ ٣٦٩ - ٣٧٠) وفي شذارت الذهب (٦/ ١٦).

(٢) انظر ترجمته في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٥٣- ٣٥٤) وفي الدور الكامنة (٢/ ١٥٤) وفي شذرات الذهب (٦/ ١٥- ١٦).

كان من كبار الشيوخ وأعيانهم، فقيها محدثا عارفا بالعربية سمع منه جماعة من شيوخ الحنابلة. وتوفي في سنة سبعمائة للهجرة[1].

٨- المحدث أبوبكر القلانسي:

هو جمال الدين أبو بكرأحمد بن علي بن عبد الله بن أبي البدر القلانسي الباجسري ثم البغدادي الحنبلي. ولد في جماد الآخرة سنة أربعين وستمائة للهجرة، وعني بالحديث، وسمع الكثير، وتفقه وكتب الكثير بالخط الجيد المتقن، وسمع من جماعة من العلماء وكان صدوقا، والظاهر أنه كان قارىء الحديث بالمستنصرية البغدادية، وقيل: إنه ولي حسبة بغداد. خرج لغير واحد من الشيوخ وسمع جماعة من المحدثين منهم الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ توفي ببغداد في شهر رجب سنة أربع وسبعمائة للهجرة[2].

٩- القاضي تقي الدين سليمان بن حمزة:

هو: القاضي تقي الدين أبوالفضل سليمان بن حمزة بن أحمد بن عمر بن محمد بن قدامة المقدسي الصالحي، ولد في منتصف رجب سنة ثمان وعشرين وستمائة للهجرة، وكان فقيها إماما محدثا وتفرد في زمانه، حضر على مجموعة من العلماء: صحيح البخاري، وسمع من جماعة المحدثين، قال بعض العلماء: شيوخه بالسماع نحو مائة شيخ وبالإجازة أكثر من سبعمائة،

---

(١) انظر ذيل طبقات الحنابلة ( ٢/ ٣٤٤)، وشذرات الذهب (٥/ ٤٥٦- ٤٥٧).

(٢) انظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٥٣، وشذرات الذهب ٦/ ١٠، الدرر الكامنة ١/ ٢١٦، ١/ ١٥٧.

كان كثير العبادة والتهجد حسن الخلق، قوي النفس، لين الجانب، متوددا إلى الناس، حريصا على قضاء الحوائج، وعلى النفع المتعدي. توفي ليلة الإثنين حادي عشر ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبعمائة للهجرة بمنزله فجأة بعد صلاة المغرب[1].

١٠- ابن تيمية:

شيخ الإسلام أبوالعباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن تيمية الحراني، الدمشقي الحنبلي. ولد في حران يوم الإثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة، وتحول به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر، فكان إمام عصره بلا مدافعة في الفقه والحديث والأصول والنحو واللغة وغير ذلك. قرأ العربية على سليمان بن عبدالقوي الطوفي ـ تلميذه هذا ـ أياما في دمشق. رحل إلى مصر وتعصب عليه مجموعة من العلماء فيها فحبس، وجرت له عدة محن وحبس من أجلها في دمشق ومصر، كان يجاهد بنفسه مع الجيوش التتار والصليبين وله مواقف جليلة في نصرة دين الله ونصرة المذهب الحق ـ مذهب أهل السنة والجماعة ـ ومؤلفاته لا تحصى كثرة. توفي رحمه الله في دمشق ليلة الإثنين العشرين من ذي القعدة في سجنه بقلعة دمشق[2].

---

(١) انظر البداية والنهاية ١٤/ ٧٥، وذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٤-٣٦٦، والدرر الكامنة (٢/ ١٤٦ - ١٤٧).

(٢) انظر ترجمته في مقدمة الجواب الصحيح بتحقيق الدكتور علي بن حسن العسيري، وفي البداية والنهاية ١٤/ ١٣٥- ١٤٠، وفي النجوم الزاهرة ٩/ ٢٧١-٢٧٢، وفي ذيل طبقات الحنابلة ٣/ ٣٨٧-٤٠٨، وغيرها.

١١- الحافظ المـزي:

الحافظ أبوالحـجاج جمـال الدين أبومحمـد يوسف بن الزكي عبـدالرحمن بن يوسف القضاعي الكلبي المزي، محدث الديار الشـامية في عصره، ولد بظاهر حلب، في عاشر ربيع الثاني سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة، ونشأ بالمزة قرب دمشق.

حـفظ القـرآن الكريم، وعني باللغـة العـربيـة وبرع فيـهـا، وأتقن النحـو والتـصريف، ولي دار الحـديث الأشرفـية، شـافعي المذهب وصـاحب حيـاء وسكينة، واحتمال وقناعة، وقلة كلام، إلا أنه إذا سئل أجاب وأجاد، برع في معـرفة الرجال، وشـدت إليه الرحال من أجل ذلـك، ومما يشهد بذلك كـتابه تهذيب الكمـال: في أربعة عشر مـجلدا، توفي ـ رحمه الله ـ في ثاني عـشر صفـر سنة اثنتين وأربعين وسبـعمائة للهـجرة، ودفن بجـوار زوجته الصـالحة الحافظة لكتاب الله في مقبرة الصوفية بدمشق[1].

١٢- مجد الدين الحراني:

مجد الدين أبوالفداء إسـماعيل بن محمد بن إسمـاعيل بن الفراء الحراني، ثم الدمـشقي، الفـقيـه الحنبلي شـيخ المذهب، ولد سنة خـمس أو ست وأربعين وستمائة للهـجرة بحران، ثم قدم دمشق مع أهله سنة إحدى وسـبعين، فسمع بها من جماعة من المحدثين والعلماء، وسمع المسند وتصدى للاشتغال والفتوى مدة طويلة، قـال عنه الطوفي: "كان من أصلح خلق الله وأديـنهم، كأن على

---

(١) انظر فوات الـوفيات ٤/٣٥٣-٣٥٥، والدليل الشـافي على المنهل الصافـي: ٢/٨٠٣، والبداية والنهاية ١٤/١٩١-١٩٢.

رأسه الطير، وكان عالما بالفقه والحديث، وأصول الفقه، والفرائض، والجبر، والمقابلة" اهـ، وقال الذهبي[1]: "كان شيخ الحنابلة" اهـ، ويقال: إنه أقرأ المقنع مائة مرة، كان كثير البكاء، رقيق القلب، توفي في ليلة الأحد تاسع جمادى الأولى، سنة تسع وعشرين وسبعمائة للهجرة بالمدرسة الجوزية، ودفن بمقابر الباب الصغير بدمشق[2].

١٣- محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل:

شمس الدين أبوعبدالله محمد بن أبي الفضل البعلي الفقيه الحنبلي المحدث النحوي اللغوي، ولد سنة خمس وأربعين وستمائة للهجرة في بعلبك وسمع بها وبدمشق، وعني بالحديث وقرأ العربية واللغة على ابن مالك[3] حتى برع في ذلك. وشرح ألفية ابن مالك، كان غزير الفوائد صالحا متواضعا على طريقة السلف. توفي بالقاهرة في ثامن عشر المحرم سنة تسع وسبعمائة ودفن بالقرافة[4].

---

(١) الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبدالله الذهبي، ولد سنة ٦٧٣هـ من أسرة تركمانية الأصل، وعرف بالذهبي نسبة إلى صنعة أبيه. مشهور بطول باعه في الحديث، ومؤلفاته تشهد بذلك. توفي ـ رحمه الله ـ سنة ٧٤٨هـ.

(انظر البداية والنهاية ١٤/ ٢٢٥، ومقدمة تحقيق الجزء الأول من سير أعلام النبلاء).

(٢) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٤/ ١٤٦، وفي شذرات الذهب ٦/ ٨٩.

(٣) محمد بن عبدالله بن مالك جمال الدين الطائي الجيّاني الشافعي النحوي، نزيل دمشق، وتصدر بحلب لاقراء العربية، وكان إماما في القراءات وعللها وله الألفية المشهورة في النحو، توفي سنة ٦٧٢هـ(انظر فوات الوفيات ٣/ ٤٠٧-٤٠٨، وطبقات الشافعية ٥/ ٢٨).

(٤) انظر الدرر الكامنة ٤/ ١٤٠-١٤١، وشذرات الذهب ٦/ ٢٠-٢١.

١٤- الحافظ الدمياطي:

شرف الدين أبومحمد وأبوأحمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدين بن الخضر الدمياطي، الشافعي، ولد عام ثلاثة عشر وستمائة للهجرة، وكان إمام الحديث في عصره، عالما بالأنساب، عمدة في النقد، نشأته بدمياط، وسمع بالاسكندرية، ثم قدم القاهرة، وسمع بالحرمين سنة ٦٤٣هـ، ورحل إلى الشام، وإلى الجزيرة، والعراق مرتين، وبغداد، وسمع بها وخرج الحديث فيها، شيوخه نحو ألف وثلاثمائة، ومن تلاميذه المزي والذهبي، توفي بالقاهرة سنة ٧٠٥هـ[١].

١٥- الحافظ المحدث المؤرخ البرزالي:

الشيخ الإمام علم الدين أبومحمد القاسم بن محمد بن يوسف البرزالي الإشبيلي ثم الدمشقي الشافعي ولد في جمادى الأولى سنة خمس وستين وستمائة للهجرة، وحفظ القرآن، والتنبيه، ومقدمة ابن الحاجب، سمع الجامع الصحيح، وأحب الحديث ونسخ الأجزاء ودار على الشيوخ،وجد في الطلب وذهب إلى بعلبك وارتحل إلى حلب سنة خمس وثمانين وستمائة للهجرة وفيها ارتحل إلى مصر، وله تاريخ بدأه من عام مولده الذي توفي فيه الإمام أبوشامة [٢] فجعله صلة لتاريخ أبي شامة في خمس مجلدات. وعمل في فن الرواية عملا

---

(١) انظر طبقات الشافعية ٦/ ١٣٢-١٤٠، وفوات الوفيات ٢/ ٤٠٩-٤١١، والبداية والنهاية: ١٤/ ٤٠.

(٢) عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي مؤرخ محدث شافعي المذهب، وهو صاحب التصانيف المشهورة، قتل في منزله سنة ٦٦٥هـ.

[انظر البداية والنهاية ١٣/ ٢٥٠-٢٥١، وبغية الوعاة ص ٢٩٧].

قل من يبلغ إليه وبلغ عدد مشايخه بالسماع أكثر من ألفين، وبالإجازة أكثرمن ألف. رتب ذلك وترجمهم في مسودات متقنة. حج سنة ثمان وثمانين وأخذ عن مشيخة الحرمين.

يقول الذهبي: وهو الذي حبب إليَّ طلب الحديث، ولي دار الحديث الأشرفية مقرئا فيها وقرأ بالظاهرية سنة ثلاث عشرة وسبعمائة للهجرة. توفي بخليص- بين مكة والمدينة- سنة ٧٣٩هـ[١].

١٦- القاضي سعد الدين الحارثي:

الحافظ أبومحمد وأبو عبدالرحمن مسعود بن أحمد بن مسعود بن زيد بن عياش الحارثي نسبة إلى الحارثية من قرى بغداد، ثم المصري، فقيه، محدث، ولد سنة ثنتين أو ثلاث وخمسين وستمائة للهجرة، وسمع من جماعة من العلماء بمصر، والاسكندرية، ودمشق وعني بالحديث وفنونه، وكان فقيها مناظرا، مفتيا، وخرج لجماعة من الشيوخ معاجم، وكان يكتب خطا حسنا حلوا متقناً، وحج غير مرة.

درَّس بالمنصورية، والصالحية، وجامع الحاكم، وولي القضاء، ورأس الحنابلة، سمع منه الطوفي بمصر، وكانت بينهما مودة، ثم حدث بينهما فجوة سنتحدث عنها قريبا ـ إن شاء الله ـ توفي سعد الدين في سحر يوم الأربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة عشر وسبعمائة للهجرة بالقاهرة، ودفن من يومه في مقبرة القرافة[٢].

---

(١) انظر فوات الوفيات ٣/ ١٩٦-١٩٨، والنجوم الزاهرة ٩/ ٣١٩.

(٢) انظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٢-٣٦٤، والدرر الكامنة ٤/ ٣٤٧-٣٤٨، ومعجم المؤلفين ١٢/ ٢٢٥.

١٧- أبوحيان النحوي:

شيخ النحاة أبوحيان أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان النفري الغرناطي الحيّاني الأصل، الشافعي، ولد بغرناطة سنة أربع وخمسين وستمائة للهجرة، قرأ القرآن بالروايات وسمع الحديث بجزيرة الأندلس، وأفريقيا، والاسكندرية ومصر والحجاز، وحصل على الإجازات من الشام، والعراق وغير ذلك.

اجتهد في طلب العلم، وحصّل، وكتب، وله نثر ونظم، وله الموشحات البديعة، وهو ثبت فيما ينقله محرر لما يقوله، ذا دراية باللغة وألفاظها، وإمام الدنيا في النحو، والتصريف، وله اليد الطولى في التفسير والحديث، والتراجم، والطبقات، والتواريخ، والحوادث.

له مصنفات عديدة منها: البحر المحيط، وشرح سيبويه، والنافع في قراءة نافع، والإعلام بأركان الإسلام، وغيرها كثير.

قرأ عليه الطوفي مختصره لكتاب سيبويه، توفي في شهر صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة للهجرة بمنزله بالديار المصرية[1].

١٨- شهاب الدين السراج:

هو أحمد بن خليل البزاعي التاجي السراج: المولود سنة بضع وعشرين

---

(١) انظر طبقات الشافعية ٦/ ٣١-٤٤، والدرر الكامنة ٤/ ٣٠٢-٣١٠، وفوات الوفيات ٤/ ٧١-٧٩.

وستمائة للهجرة، أسير الآداب، له نظم ونثر، وله ديوان، حدث بشيء منه وسمع منه الطوفي والسراج عبداللطيف بن الكويك[1]، والسديد محمد بن فضل الله بن كاتب المرج[2]، وغيرهم. مات يوم عاشوراء سنة ٧٢٥هـ وقد قارب المائة عام[3].

## تلاميذه:

عرفنا فيما سبق في الفصول المتقدمة دور الطوفي ـ رحمه الله ـ في خدمة العلم وبذله ونشره، رغم العقبات التي وقفت أمامه، والمحن التي كان لها أثر في تنقلاته، وعدم استقرار إقامته في بلد من البلدان. فقد قام بالبحث والمناظرة في بغداد وأجاد وأفاد، وشارك في مجالس العلم والعلماء في دمشق، وبيت المقدس، ودرَّس في مدارس الحنابلة في القاهرة، بل لقد أجهد نفسه في التأليف في العلوم الشرعية وغيرها من الفنون حتى يقال: أن له بقوص وحدها خزانة من الكتب، وقد استفاد من الطوفي مجموعة من رواد العلم وطلابه إما بالجلوس عليه والأخذ منه أو بالاستفادة من كتبه وتصانيفه، وممن جلس على الطوفي وأخذ عنه على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) سراج الدين عبداللطيف بن أحمد بن محمود بن أبي الفتح بن محمود ابن أبي القاسم التكريتي المعروف بابن الكويك، التاجر، الاسكندراني، الربعي، مات سنة ٧١٢هـ. (انظر الدرر الكامنة ٢/ ٤٠٥).

(٢) ستأتي ترجمته ـ إن شاء الله ـ.

(٣) انظر الدرر الكامنة ١/ ١٣٠، ومعجم المؤلفين ١/ ٢١٦.

١- شيخ الإسلام أبوالعباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ـ رحمه الله ـ.

فهو شيخ الطوفي المثالي كما تقدم كما أن ابن تيمية قد جلس على الطوفي وأخذ عنه في اللغة العربية يقول ابن رجب ـ رحمه الله ـ "وقرأ ـ اي ابن تيمية ـ في العربية أياما على سليمان بن عبدالقوي[1]" ا.هـ.

٢- عبدالرحمن القوصي:

عبدالرحمن بن محمود القوصي، ينعت بالمجد، ويعرف بابن قرطاس، سمع الحديث بالقاهرة من المتأخرين، وقرأ النحو على أبي حيان النحوي، وتأدب على نجم الدين الطوفي، والشيخ صدر الدين ابن الوكيل[2]، والأمير مجير الدين عمر بن اللطمي[3]، فكان أديبا شاعرا فاضلا، له نظم ونثر، رثى

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة: ٢/ ٣٨٨.

(٢) محمد بن عمر بن مكي أبوعبدالله المعروف بابن المرحل وبابن الوكيل: شاعر، ومن علماء الفقه، ولد بدمياط وانتقل إلى دمشق فنشأ فيها، وأقام مدة في حلب. كان ذا ذاكرة وحافظة عجيبة، حفظ المقامات الحريرية في خمسين يوما وديوان المتنبي في أسبوع، كان لا يقوم بمناظرة ابن تيمية أحد سواه، توفي سنة ٧١٦هـ فقال ابن تيمية: أحسن الله عزاء المسلمين فيك ياصدر الدين.

(انظر الدرر الكامنة ٤/ ١١٥-١٢٣، وفوات الوفيات ٤/ ١٣-٢٦).

(٣) عمر بن عيسى بن نصر، كان فاضلا نحويا شاعرا أديبا سمع الحديث على جماعة من العلماء، وكذلك الأصول، وكان شريف النفس والمروءة لا يصبر على الذل، ولي النظر على رباع الأيتام بالقاهرة، توفي بقوص سنة ٧٢١هـ.

(انظر الطالع السعيد ص ٤٤٨-٤٥٤، ومعجم المؤلفين ٧/ ٣٠٤).

شيخه مجير الدين.

تولى الخطابة بجامع الصارم بمدينة قوص، وعلق تعاليق كثيرة، ووقف كتبه على المدرسة السابقية بقوص، توفي سنة أربع وعشرين وسبعمائة للهجرة[1].

٣- محمد بن فضل بن كاتب المرج القوصي:

محمد بن فضل الله بن أبي نصر بن أبي الرضى، السديد بن كاتب المرج، القوصي المولد، أديب شاعر فاضل، حسن المنظر، فصيح اللسان، ذو حياء وكرم وصدق لهجة، كان والده غنيا كثير العطاء، وكانت أسرتهم على دين النصرانية فهداهم الله أجمعين، قرأ محمد هذا النحو والأصول والفقه على نجم الدين الطوفي، عندما استوطن قوص وقرأ النحو أيضا على أبي حيان النحوي وتأدب على أدباء قوص، وأجاد في الأدب حتى وصل إلى النهاية ـ كما يقال ـ وله مشاركة في النحو والأصول والحكمة والطب وغيرها، وأشعاره كثيرة، منها الموشحات وغيرها. وكان كثير الغزل، ومنه ما لا يليق بالعلماء، جلس بالوراقين بقوص، وولي وكالة بيت المال بالأعمال القوصية، توفي سنة بضع وأربعين وسبعمائة للهجرة[2].

---

(١) انظر الدرر الكامنة ٢/ ٣٤٦-٣٤٧، والطالع السعيد ص ٢٩٦-٢٩٧.

(٢) انظر ترجمته في الطالع السعيد ص ٦٠٢-٦١٢، والدرر الكامنة ٤/ ١٣٥-١٣٧.

# آثاره العلميــة

رأينا فيــما سبق كيف حــرص الطوفي على العلم منذ صغره، وكــيف كان شديد الذكــاء، فرحل إلى عدة بلدان حــرصا على طلب العلم واللقــاء بالعلماء، وكــيف كان شــديد الشغف بالبــحث والمعرفــة، فــقد طالع أغلب الكتب المؤلفــة وخاصة في قوص، وكــان يشارك في سائر العلوم، وكذلك كيف كــان حرا جريئا في تفكيره كمــا يتضح من قوله في كتابه "الاكــسير في قواعد التفــسير" ص ١: "ولم أضع هذا القــانون لمن يجمــد عند الأقوال، ويصــمد لكل من أطلق لســانه وقال، بل وضعته لمن لا يغتر بالمحال، وعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال" ا. هـ.

وقال في شرح الأربعين النووية: "فأوصيك أيهــا الناظر فيه، المحيك طرفه في أثنائه، ومطاويه ـ ألا تسارع فــيه إلى إنكار خلاف ما ألفــه وهمك، وأحاط به علمك، بل أجــدّ النظر وجــدده، وأعــد الفكر ثم عــاوده، فإنــك حينئــذ جــدير بحصول المراد. . . "[1].

وكان طبــيعيا من تعــدد البلدان التي درس ودرّس وقرأ فيهــا أن تتسع دائرة معــارفه فشملت عــلوم القرآن، والحديث، وأصول الفــقه والفقــه وأصول الدين، واللغة العربيــة، والأدب. بل لقد كان شاعرا ناقــدا يشرح أشعار فحــول الشعراء ويجمع عــيون الشــعر من مظانهــا، ويبين آلاته التي يحتــاج إليهــا وكيف تأليــفه

---

(١) المصلحة المرسلة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي ص ٧١-٧٢.

والطريق إلى نقده[1].

وقد ذكر العلماء والمترجمون للطوفي عددا كبيرا من كتبه ولكن ليس على سبيل الحصر ولذلك فإنني أذكر ما تيسر معرفته من كتبه ولا يتيقن لنا حصرها واستيفاء الاطلاع عليها ومعرفة أماكن وجودها في مكتبات العالم، وقد رتبت ما عرفته من كتبه على الفنون: التفسير وعلومه، ثم الحديث، ثم أصول الدين، ثم أصول الفقه، ثم اللغة العربية والأدب.

١- الاكسير في قواعد التفسير:

وقد طبع هذا الكتاب أكثر من طبعة وحققه الدكتور عبدالقادر حسين، في مصر.

٢- ايضاح البيان عن معنى أم القرآن:

منه صورة في مكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية. وقد كتبه في حبس رحبة باب العيد[2] بالقاهرة سنة إحدى عشرة وسبعمائة للهجرة.

٣- مختصر المعالين:

يقول ابن رجب ـ رحمه الله ـ : "جزءين فيه: أن الفاتحة متضمنة لجميع القرآن" اهـ. ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧)، وصاحب

---

(١) انظر مخطوطة الشعار على مختار الأشعار.

(٢) رحبة باب العيد: كانت عظيمة الطول والعرض يقف فيها العساكر في أيام مواكب الأعياد ينتظرون ركوب الخليفة وخروجه من باب العيد ويذهبون في خدمته لصلاة العيد. ثم بنيت فيها الدور والمساجد وغيرها فصارت خطة كبيرة من أجل الخطاط القاهرة وبقي اسم رحبة باب العيد لا تعرف إلا به (انظر الخطط المقريزية ٢/ ٤٧).

الأنس الجليل (٢/ ٢٥٨).

٤- فواصل الآيات:

ذكره صاحب كشف الظنون (٢/ ١٢٩٣).

٥- تفسير سورة ق:

ذكره بروكلمان. وعندي صورة لاحدى نسخه الخطية. وكتبه في سجن رحبة باب العيد بالقاهرة سنة إحدى عشرة وسبعمائة للهجرة.

٦- تفسير سورة القيامة:

وهو ضمن مجموع للطوفي صورت هذا المجموع مكتبة مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية برقم ١٢٠٥.

٧- تفسير سورة سبأ:

وهو ضمن المجموع السابق. وقد كتبه في حبس رحبة باب العيد بالقاهرة سنة إحدى عشرة وسبعمائة للهجرة.

٨- تفسير سورة الانشقاق:

ضمن المجموع السابق.

٩- بيان ما وقع في القرآن من الأعداد:

منه صورة بمكتبة المخطوطات بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

١٠- جدل القرآن:

ذكره السيوطي[1] في الاتقان في علوم القرآن النوع الثامن والستين.

---

(١) عبدالرحمن ن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري، إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ستمائة مصنف منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة نشأ في القاهرة يتيما ولما بلغ =

١١- بغية الواصل إلى معرفة الفواصل:

ذكره الإمام السيوطي أيضا في مصادر كتابه: الاتقان (١/ ١١-١٢) وصاحب كشف الظنون (١/ ٢٥١).

١٢- دفع التعارض عما يوهم التناقض في الكتاب والسنة:

ذكره صاحب كشف الظنون (١/ ٧٥٦) وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧)، وصاحب الأنس الجليل (٢/ ٢٥٧).

١٣- شرح الأربعين النووية:

ذكره أكثر من واحد، واطلعت على نسختين خطيتين منه في دار الكتب القومية بالقاهرة. وممن ذكره صاحب الأنس الجليل (٢/ ٢٥٨).

١٤- مختصر جامع الترمذي[1]:

ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة (٢/ ١٥٥)، والسيوطي في بغية الوعاة ص ٢٦٢، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧) وغيرهم.

١٥- بغية السائل في أمهات المسائل:

وقد عده بعضهم في الطب، وليس كذلك وممن ذكره صاحب كشوف

---

= أربعين سنة اعتزل الناس، فالف أكثر كتبه. توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة للهجرة.
(انظر شذرات الذهب ٨/ ٥١، والأعلام ٣/ ٣٠٢).

(١) أبوعيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي من أئمة علماء الحديث وحفاظه، تلميذ البخاري، وزميله في بعض شيوخه، أشهر تصانيفه "الجامع الصحيح" أحد الكتب الستة. عمي الترمذي في آخر حياته، وتوفي - رحمه الله - سنة تسع وسبعين ومائتين من الهجرة، وقيل غير ذلك. (انظر شذرات الذهب ٢/ ١٧٤-١٧٥، والنجوم الزاهرة ٣/ ٨١-٨٢، ومقدمة سننه بتحقيق أحمد شاكر).

الظنون (١/ ٢٤٨) وصاحب الأعلام (٣/ ١٢٨) وذكره الطوفي نفسه في كتابه الاكسير في قواعد التفسير ص ٤.

١٦- قدوة المهتدين إلى مقاصد الدين:

منه نسخة ضمن مجموع صورت بعضه الجامعة الإسلامية في المدينة النبوية.

١٧- حلال العقد في أحكام المعتقد:

منه صورة في مكتبة مخطوطات الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

١٨- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية:

وهو هذا الكتاب الذي قمت بتحقيقه.

١٩- الباهر في أحكام الباطن والظاهر:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧) وصاحب كشف الظنون (١/ ٢١٩) وغيرهما. ويقول الطوفي عنه في الإشارات: "وهذا رد على الاتحادية وغيرهم".

٢٠- درء القول القبيح في التحسين والتقبيح:

وقد اطلعت على نسخة منه في مكتبة شهيد علي بتركيا، وقد ذكره غير واحد، منهم صاحب الأنس الجليل (٢/ ٢٥٧).

٢١- رد على الاتحادية:

ذكره في كتابه الانتصارات الإسلامية، وفي كتابه الإشارات الإلهية وذكره أكثر من واحد.

٢٢- الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية في الاعتقادات:

وعندي منه صورتان لمخطوطتين في المكتبة الأحمدية بحلب والمكتبة العلمية

ببريدة، وقد اطلعت على نسخة له في مكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية، وله عدة نسخ أخرى في مكتبات تركيا وغيرها. وليس له نظير في بابه وترتيبه.

٢٣- العذاب الواصب على أرواح النواصب:

ذكره صاحب ايضاح المكنون (٢/ ٩٦) والزركلي في الأعلام (٣/ ١٢٨) ويقال إنه حبس وطيف به لأجله.

٢٤- قصيدة في العقيدة وشرحها:

ذكره صاحب كشف الظنون (٢/ ١٣٤٣) وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧)، وغيرهما.

٢٥- تعاليق في الرد على جماعة من النصارى:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧)، ويقول الطوفي في الإشارات الإلهية: "والبحث مع النصارى أفردنا له عدة تعاليق".

٢٦- النور الوهاج في الإسراء والمعراج:

ذكره صاحب إيضاح المكنون (٢/ ٦٨٨) وغيره.

٢٧- تعاليق على الأناجيل الأربعة وكتب الاثني عشر:

منه نسختان اطلعت عليهما بالمكتبة السليمانية بتركيا، وذكره غير واحد.

٢٨- كتاب في القدر: "قاعدة القدر"

ذكره في مقدمة كتابه الإشارات الإلهية.. وفي كتابه الانتصارات الإسلامية.

٢٩- الفوائـــــد:

ذكره في كتابه هذا "الانتصارات الإسلامية".

٣٠- الآداب الشرعية:

ذكره في كتابه هذا "الانتصارات الإسلامية".

٣١- الجدل في علم الجدل:

اطلعت على نسخة منه في مكتبة شهيد علي بتركيا ـ استانبول ـ.

٣٢- مصنف آخر صغير في الجدل:

وقد ذكره في الإشارات باسم "مختصر الجدل".

وذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧)، وصاحب الأنس الجليل (٢/ ٢٥٧).

٣٣- دفع الملام عن أهل المنطق والكلام:

ذكره هو في كتابه الإشارات الإلهية... وذكره د. مصطفى أبوزيد في المصلحة المرسلة... ونجم الدين الطوفي ص ٩١.

٣٤- البلبل في اختصار روضة الناظر:

ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة (٢/ ١٥٥) وصاحب كشف الظنون (١/ ٩٣٠) "مطبوع".

٣٥- شرح روضة الناظر:

ثلاثة مجلدات، الجزء الثاني منه في مكتبة الحرم المكي، وصورته في مكتبة المخطوطات بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، وحققه وطبعه معالي الأستاذ الدكتور عبدالله التركي وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، وكذلك د. إبراهيم البراهيم.

٣٦- معراج الوصول إلى علم الأصول:

ذكره صاحب كشف الظنون (٢/ ١٧٣٨) والزركلي في الأعلام (٣/ ١٢٨)، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧).

٣٧- الذريعة إلى معرفة أسرار الشريعة:

ذكره صاحب كشف الظنون (١/ ٨٢٧) والزركلي في الأعلام (٣/ ١٢٨)، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧).

٣٨- شرح المحصول في أصول الفقه:

ذكره صاحب كشف الظنون (٢/ ١٦١٦).

٣٩- مختصر المحصول:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧)، والدكتور مصطفى أبوزيد في المصلحة المرسلة ص ٩٢.

٤٠- مختصر الحاصل في أصول الفقه:

ذكره الدكتور مصطفى أبوزيد في المصلحة المرسلة ص ٩٢. وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧).

٤١- الرياض النواظر في الأشباه والنظائر:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧)، والزركلي في الأعلام (٣/ ١٢٨)، والدكتور مصطفى أبوزيد في المصلحة ص ٩٢.

٤٢- القواعد الكبرى في فروع الحنابلة:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧)، وصاحب كشف الظنون (٢/ ١٣٥٩).

٤٣- القواعد الصغرى:

ذكره الطوفي في الانتصارات الإسلامية وشرح الروضة (٢/ ٤٤٥) خ وفي أكثر كتبه التي اطلعت عليها.

٤٤- شرح نصف مختصر الخرقي:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧) وغير واحد.

٤٥- القواعد الدمشقية:

ذكره الطوفي في كتابه هذا: "الانتصارات الإسلامية" في أول حديثه عن الشرط الرابع.

٤٦- مقدمة في علم الفرائض:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧)، وصاحب الأنس الجليل (٢/ ٢٥٨).

٤٧- شرح مختصر التبريزي في الفقه الشافعي:

ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة (٢/ ١٥٥)، والسيوطي في بغية الوعاة ص ٢٦٢، وابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٧) وغيرهم.

٤٨- الصعقة الغضبية على منكري العربية:

منه نسخة بدار الكتب القومية المصرية برقم (٢٢٨/مجاميع). وقد ذكره الدكتور مصطفى أبوزيد في المصلحة المرسلة ص ٩٣. وصاحب ايضاح المكنون (٢/٦٧) حققه د. محمد الفاضل وطبع في مكتبة العبيكان بالرياض.

٤٩- الرسالة العلوية في القواعد العربية:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/٣٦٧)، وصاحب كشف الظنون (١/٨٧٨).

٥٠- غفلة المجتاز في علم الحقيقة والمجاز:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/٣٦٧)، وصاحب كشف الظنون (٢/١١٥٣).

٥١- تحفة أهل الأدب في معرفة لسان العرب:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/٣٦٧)، وصاحب كشف الظنون (١/٣٦٣) والزركلي في الأعلام (٣/١٢٨).

٥٢- الرحيق السلسل في الأدب المسلسل:

ذكره ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة (٢/٣٦٧).

٥٣- موائد الحيس في شعر امرئ القيس:

ذكره صاحب كشف الظنون (٢/١٨٩٧) وابن رجب في الذيل (٢/٣٦٨).

٥٤- شرح مقامات الحريري:

في ثلاثة مجلدات، ذكره ابن حجر في الدرر الكامنة (٢/ ١٥٥)، والسيوطي في بغية الوعاة ص ٢٦٢، وابن رجب في الذيل (٢/ ٣٦٨).

٥٥- الشعار المختار على مختار الأشعار:

ذكره الدكتور مصطفى أبوزيد في المصلحة المرسلة ص ٩٣. وقد اطلعت على صورة منه في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وعنوانه فيها: "الشعار على مختار الأشعار".

٥٦- إزالة الأنكاد في مسألة كاد:

ذكره صاحب كشف الظنون (١/ ٧١) وبروكلمان.

٥٧- قصيدة طويلة في مدح الإمام أحمد بن حنبل:

ذكرها ابن رجب وغيره.

هذه هي مصنفات الإمام الطوفي ـ رحمه الله ـ لا على وجه الحصر وإن كنت أريد الحصر، فلم يتسير لي ذلك، وله مؤلفات أخرى لم أستطع معرفة اسمائها، وقد شهد بكثرة مؤلفاته وعدم حصرها المؤرخون له.

يقول ابن رجب ـ رحمه الله ـ في ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٨) بعد أن عدد مؤلفاته: "واختصر كثيرا من كتب الأصول، ومن كتب الحديث أيضا" ا هـ.

ويقول العلمي في الأنس الجليل: "ويقال: إن له بقوص خزانة كتب من تأليفه، فإنه أقام بها مدة".

## عقيدته ومذهبه:

إن من يعيش في بيئة كالبيئة التي عاش فيها الطوفي ـ رحمه الله ـ لابد أن يواجه كثيرا من المشكلات، خاصة وأن بيئته كما أسلفنا مليئة بالصراعات السياسية المبنية على اختلاف الدين والعقيدة بل مليئة بالصراعات الفكرية والعقدية لتعدد الطوائف والفرق من أهل القبلة وغيرهم كالرافضة والصوفية[1] والحلولية[2] والمعتزلة[3]

---

(١) نسبة إلى الصوف الذى كان أوائلهم يلبسونه تقشفا، أو إلى صفاء القلب بكف النفس عن الهوى والاستغراق بالكلية في ذكر الله ـ على زعمهم ـ ويزعمون أنهم يستطيعون الكشف عن الحقائق الخفية والإلهية بحدس متعال إما بطريق الإلهام، أو بطريق الوحي... ويزعمون بأن الأولياء وصلوا إلى مالم يصل إليه الأنبياء، وعامتهم يجعل الولي مساويا لله في كل صفاته ويرزق ويحي... الخ. (انظر المعجم الفلسفي ١/ ٧٤٧، والفكر الصوفي ص٣٨ ـ ٣٩، ومجموع الفتاوى ١١/ ٥ وما بعدها).

(٢) الحلولية هم غلاة الصوفية الذين يعتقدون أن الله حل بذاته في مخلوقاته، وأنه تعالى بذاته في كل مكان. وهم الاتحادية. (انظر مجموع الفتاوى ٢/ ١١١ ـ ٨٤).

(٣) المعتزلة: إحدى الفرق الكبار المنتسبة إلى أهل القبلة وتحتها عدة فرق. وسموا معتزلة لاعتزالهم المسلمين أو لاعتزالهم مجلس الحق، فقد اعتزل رئيسهم واصل بن عطاء مجلس الحسن البصري فسماهم الحسن معتزلة، وقد أجمعت على نفي صفات الله وخلق القرآن، وأن العبد يخلق فعله، وأن مرتكب الكبيرة موحد مخلد في النار، ونفوا الشفاعة، ويرون الخروج على السلطان وترك طاعته، ولهم أصول خمسة هي: العدل والتوحيد والوعيد والمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وتفصيلها في كتبهم. (انظر البرهان في عقائد أهل الأديان ص٢٦ ـ ٢٧، والفرق بين الفرق ص١١٤ ـ ١١٧، ولوامع الأنوار البهية ١/ ٧٦، وغيرها).

والأشاعرة[1] وغيرها، وقل من عصمه الله في تلك الحقبة من الزمن أن يزل أو ينحرف عن الحق أو يخطئ. لكثرة الجدل واختلاف المشارب واستيلاء الأهواء على كثير من الناس، وفشو الجهل بين البعض الآخر.

ولقد كان من نتائج ذلك الاختلاف فشو الحسد بين أهل العلم، فلقد حرص الشيطان على إيقاع الاختلاف والفرقة بين كثير منهم وكثرت إشاعة الأخطاء مما أوقد نار الحقد والضغينة بين أصحاب المذاهب والنحل، وأصبح همّ بعضهم التغلب على خصمه في الجدل والمناظرات، واستعداء الناس على مقاطعته، وتسجيل الأخطاء والاشتغال بذلك.

والمتتبع لما كتب عن الطوفي ـ رحمه الله ـ يجد أن كل من كتب عنه من المؤرخين قد اتفقوا على فضله وصلاحه وذكائه، وزهده في الدنيا وتقلله منها وتدينه.

كما اتفقوا على طول باعه في الأصول، وعلى تفننه، وعلى أنه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل في الفقه والأصول، وكتبه تشهد بذلك.

كما اتفقوا أيضا على اشتغاله بالحديث على أشهر علماء عصره فى الحديث ومصطلحه.

وسأتحدث في هذا المبحث عن عقيدة الطوفي ومذهبه في النقاط التالية:

---

(١) الأشاعرة هم أتباع أبي الحسن الأشعري ومن على مذهبه قبل رجوعه إلى أهل السنة، وبعد تركه لمذهب المعتزلة. وهم ينكرون بعض الصفات ويتاولون نصوصها والمتأخرون منهم لا يثبتون إلا سبع صفات ويؤلون الباقي بتأويلات عقلية، وهم يوافقون أهل السنة في غالب أصول الاعتقاد (انظر الملل والنحل ١/ ٩٤ وما بعدها).

الأولى: الطوفي وموقفه من الرفض.

الثانية: مذهب الطوفي في الأسماء والصفات وبعض مسائل العقيدة.

الثالثة: مذهب الطوفي في المصلحة المرسلة.

الرابعة: قول الطوفي في حديث الآحاد.

وخصصت هذه المسائل بالبحث لأن الطوفي متهم بالرفض حتى من الذين أثنوا على تدينه وعلمه وفضله وصلاحه.

كما اتهم أيضا بأنه أشعري العقيدة.

وله رأي خاص به في المصلحة المرسلة، وإن لم يذكره العلماء السابقون أو المؤرخون للطوفي وإنما اشتهر في هذا العصر بعد الاطلاع على ما كتبه في هذا الموضوع في كتابه شرح الأربعين النووية عند شرحه لحديث: «لا ضرر ولا ضرار»[1].

أما رأيه في خبر الآحاد فقد تبين لي من كلامه في هذا الكتاب "الانتصارات...." ومن اطلاعي على بعض كتبه الأخرى، ويشاركه في ذلك كثير من الأصوليين.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره. وقال في الزوائد: "في إسناده جابر الجعفي: متهم" اهـ، وأخرجه مالك في الموطأ في كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق. مرسلا، وأحمد في المسند (٥/ ٣٢٧) عن عبادة في حديث طويل في أقضية الرسول ﷺ قال النووي: "حديث حسن رواه ابن ماجه، والدارقطني وغيرهما مسندا، ورواه مالك في الموطأ مرسلا عن عمرو بن يحيى عن أبيه عن النبي ﷺ فأسقط أبا سعيد، وله طرق يقوي بعضها بعضا". اهـ.

## الطوفي وموقفه من عقيدة الرافضة:

قبل أن نعرض لآراء الطـوفي ـ رحمه الله ـ لابد أن نعرف معـنى: الرافضة والشيعة وهل مدلولهما واحـد، أم أن كل لفظ يطلق على موصوف غير الموصوف الذي يوصف به اللفظ الآخر:

## معنى الرفض والتشييع:

١ - الرفض في اللغة مصدر رفض يرفض إذا ترك. قال ابن منظور[١]:

"الرفض: تركك الشيء، وهو من باب ضـرب أو ترك. والروافض: جنود تركوا قائدهم وانصرفوا فكل طائفة منهم رافضة، والنسبة إليهم: رافضي[٢].

وقد سمي قـوم من الشيعة: رافضـة لأنهم تركوا زيد بن علي[٣]. فإنهم لما

---

(١) محمد بن مكرم بن علي، أبوالفضل جمال الدين الأنصاري، الرويفعي الافريقي إمام اللغة، ولد بمصر، وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ثم تولى القضاء في طرابلس وعاد إلى مصر، وتوفي بها سنة إحـدى عشـرة وسبـعمـائة للهجـرة. [انظر وفيـات الأعيـان ٤/ ٣٩ ـ ٤٠، والدرر الكامنة ٤/ ٢٦٢].

(٢) انظر لسان العرب ٧/ ١٥٦، ١٥٧، والمشـوف المعلم١/ ٣٠٧، والمصباح المنير ١/ ٢٧٦، ومـختار الصحاح ص ٢٥٠.

(٣) زيد بن علي بن الحـسين بن علي بن أبي طالب الإمـام، أبوالحسن العلوي الهـاشمي القـرشي، ويقال له "زيد الشهيـد" فقيها فصـيحا بليغا خطيبا، أقـام بالكوفة، يروى أنه أخذ عن واصل بن عطاء الاعتزال، وأنه سافر إلى الشام ثم ضيق عليه هشام بن عبدالملك وحبسه ثم عاد إلى العراق ثم إلى المدينة ثم إلى الكوفة، ونشبـت بينه وبين الأمويين معارك قتل فيـها سنة ١٢٢هـ. [فوات الوفيات ٢/ ٥٣ ـ ٣٨، والأعلام ٣/ ٥٩].

سئل ـ رضي الله عنه ـ عن أبي بكر[1] وعمر [2] ـ رضي الله عنهما ـ فترحم عليهما رفضه قوم من الذين بايعوه وقالوا له: ابرأ من الشيخين نقاتل معك، فأبى وقال: كانا وزيري جدي فلا أبرأ منهما[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ "فسموا رافضة لرفضهم إياه، وسمي من لم يرفضه من الشيعة زيديا لانتسابهم إليه[4].

ولم يعرف لفظ الرافضة قبل ذلك[5]، ولكنه استعمل في كل من غلا في هذا المذهب وأجاز الطعن في الصحابة رضوان الله عليهم[6].

---

(١) عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر القرشي الصديق ـ رضي الله عنه ـ أول مؤمن برسول الله ﷺ من الرجال وخليفته في الصلاة وبعد موته ﷺ كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبدالله. ولد بعد عام الفيل بسنتين ونصف، ولازم النبي ﷺ قبل البعثة وبعدها وهو صاحبه في الهجرة، حضر المشاهد كلها، وهو أفضل الصحابة وأحد المبشرين بالجنة بويع بالخلافة في السقيفة وتوفي سنة ثلاث عشرة من الهجرة. [انظر الاصابة ٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٤، والاستيعاب ٣/ ٩٦٣ ـ ٩٧٨].

(٢) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة أسلم قبل الهجرة بخمس سنوات وقوي جانب المسلمين بإسلامه. وأول من لقب من الخلفاء بأمير المؤمنين، لقبه النبي ﷺ بالفاروق ونزل الوحي مؤيد لرأيه، طعنه أبولؤلؤة المجوسي وهو يصلي بالناس الفجر وعاش بعدها ثلاث ليال ثم مات سنة ثلاث وعشرين من الهجرة. [انظر الإصابة (ت٥٧٣٦)، وصفة الصفوة ١/ ٢٦٨ ـ ٢٩٣].

(٣) انظر منهاج السنة ١/ ١٠، ولسان العرب ٧/ ١٥٦، والمصباح المنير ١/ ٢٧٦.

(٤) المواضع المذكورة من المراجع السابقة.

(٥) المواضع السابقة من المراجع نفسها.

(٦) المواضع السابقة من المراجع نفسها.

٢- والشيعة القوم الذين اجتمعوا على الأمر، ويتبع بعضهم رأي بعض وليس كلهم متفقين على رأي. كما قال الله تعالى: ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾ [١] فكل فرقة تكفر الفرقة المخالفة لها.

والشيعة أتباع الرجل وأنصاره، وجمعها شيع وأشياع وفي الحديث: "القدرية شيعة الدجال" أي أولياؤه، وأنصاره، وقد غلب هذا الاسم على من يتولى عليا[٢] وأهل بيته، رضوان الله عليهم[٣].

وبعد هذا التعريف الموجز فقد تتبعت ما استطعت الوصول إليه من مؤلفات الطوفي ووجدته يتحدث كثيرا عن الرافضة والشيعة وعن مذهبهم ويهاجمهم ويلعنهم، وهذه نماذج مما وجدته في هذا الموضوع:

يقول في كتابه: " الصعقة الغضبية على منكري العربية" الورقة (٢٤) من النسخة الخطية بدار الكتب المصرية:

---

(١) سورة الروم، آية: ٣٢.

(٢) أبو الحسن علي بن أبي طالب، ابن عم النبي ﷺ وأول من أسلم من الصبيان، تربى في حجر النبي ﷺ وشهد معه المشاهد ما عدا تبوك استخلفه على المدينة على غير رغبة منه في ترك الجهاد مع النبي ﷺ كان له أربعة عشر ولدا ذكورا، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين. ضربه عبدالرحمن بن ملجم ـ لعنه الله ـ بالكوفة في رمضان سنة ٤٠ فبقي يومان ثم مات ـ رضي الله عنه ـ [انظر صفة الصفوة ١/ ٣٠٨ ـ ٣٣٥، والإصابة ت ٥٦٨٨].

(٣) انظر لسان العرب ٨/ ١٨٨، ١٨٩، ومختار الصحاح ص٣٥٣، والمصباح المنير ١/ ٣٩٠، والشيعة والتشيع لإحسان إلهي ظهير ص١٣.

* من الأصول العظمية التي نشأ النزاع فيها من جهة العربية اختلاف الشيعة والسنة فيما يتعلق بأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ، ومنعه فاطمة[1] ـ رضي الله عنها ـ فدكا [2] والعوالي[3]، فإنها لما جاءت تطلب إرثها عن أبيها قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما تركناه صدقة"[4]، ولم يعطها شيئا فخاضت الرافضة في أبي بكر وقالوا: منع فاطمة إرثها. وقال أهل السنة: إنما عمل بما سمع، ولم يمنعها حقا. ومنشأ الخلاف بينهم من حيث أن "ما" وردت في اللغة على وجهين: اسمية وحرفية، ولكل واحد منهما خمسة أقسام... إذا عرفت

---

(١) بنت الرسول الله ﷺ ابن عبدالله بن عبدالمطلب، الهاشمية القرشية، وأمها خديجة بنت خويلد أولى زوجات النبي ﷺ تزوجها علي بن أبي طالب في الثامنة عشرة من عمرها وولدت له الحسن والحسين وأم كلثوم وزينب، وبقيت فاطمة بعد أبيها ستة أشهر. وهي أول من جعل له النعش في الإسلام. [انظر طبقات ابن سعد ٨/ ١١ ـ ٢٠، والإصابة ٤/ ٧٧٣، وصفة الصفوة ٢/ ٩ ـ ١٥، والأعلام ٥/ ١٣٢].

(٢) فدك: بلد بينها وبين المدينة يومان، وقيل ثلاثة، وقيل ثلاث مراحل أفاءها الله على رسوله ـ عليه السلام ـ صلحا. [انظر مراصد الاطلاع ٣/ ١٠٢٠، وفتح الباري ٦/ ٢٠٣].

(٣) العوالي: بالفتح، جمع العالي: كانت ضيعة، بينها وبين المدينة أربعة أميال، وقيل: ثلاثة، وقيل ثمانية. [انظر مراصد الاطلاع ٢/ ٩٧٠]. والآن أصبحت أحد أحياء المدينة النبوية.

(٤) طرف من الحديث الذي أخرجه البخاري في أول فرض الخمس، وفي المغازي، باب حديث بني النضير، وباب غزوة خيبر وفي النفقات، باب حبس الرجل قوت سنة على أهله...، وفي الفرائض، باب قول النبي ﷺ: «لانورث ما تركنا صدقة»، وفي الاعتصام، باب ما يكره من التعمق والتنازع...، وأخرجه مسلم في الجهاد، باب قول النبي ﷺ: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة»، حديث: ٥٢، ٥٤، ٥٦، وأخرجه أبوداود في الخراج والإمارة... باب في صفايا رسول الله ﷺ من الأموال. وأخرجه الترمذي في السير باب ماجاء في تركة النبي ﷺ والنسائي في الفيء، وأحمد في المسند في عدة مواضع منها (١/ ٤، ٦، ٩، ١٠).

ذلك فالرافضة حملوا "ما" في قوله ـ عليه السلام ـ: «ما تركنا صدقة» [1] على أنها نافية، أي: لم نترك صدقة، وإنما تركنا ما تركناه إرثا لغيرنا، وحملها أهل السنة على أنها موصولة، بمعنى الذي، تقديره: الذي تركناه صدقة، بالرفع على الخبر، وحذف الهاء من تركناه لأنها ضمير منصوب وهو سائغ الحذف في الصلة، كقوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ...(٣٥)﴾ [2] قرىء بحذف الهاء وإثباتها [3].

وهذا هو الحق ـ إن شاء الله تعالى ـ وما ذهب إليه الرافضة خطأ صريح محض" [4].

ثم رد على الرافضة في نفس الموضع على تضعفيهم الحديث المذكور فقال: "... لا سبيل إلى منع صحته، إذ قد رواه أحمد والبخاري ومسلم من حديث عائشة [5]، وأبو داود من حديث مالك بن أوس

---

(١) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٢) سورة يس، آية ٣٥.

(٣) انظر الإقناع في القراءات السبع ٢/ ٧٤٢.

(٤) قلت: وقوله في لفظ الحديث: (لانورث)، والرواية الأخرى من مسلم في الجهاد، حديث ٤٩: (لانورث ماتركناه صدقة) والثالثة عند البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله...، وعند مسلم في الجهاد حديث ٥١، وأبوداود في الموضع السابق: (لانورث ماتركنا فهو صدقة)، تدل على أن (ما) موصولية وليست نافية.

(٥) عائشة بنت أبي بكر عبدالله بن عثمان الصديق ـ رضي الله عنهما ـ ولدت بعد مبعث النبي ﷺ بأربع سنين وعقد عليها وهي بنت تسع. كانت من أفقه الناس وأعلمهم، وفي الحديث: «فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». وكانت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه. ماتت سنة ٥٨هـ، ودفنت بالبقيع. (انظر الإصابة ٤/ ٣٥٩ ـ ٣٦١، وسير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٥ ـ ٢١٠).

ابـن الحدثان[1]، وهو حديث مـشهور مسـتفيض، إلا أن للرافضـة أصلا خبيـثا باطلا، وهو أنهم لا يقـبلون رواية الصحابي لمرض في قلوبهم عـليهم وليس هذا موضع الرد عليهم في ذلك الأصل[2]" .اهـ.

وقد تحدث عن ذلك في كـتابه الإشارات الإلهية في المبـاحث الأصولية عند كلامـه عن قوله تعـالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ ... ﴿١٦﴾﴾ الآية [3] ثم قال: " وقصـد الشيعة ـ لعـنهم الله ـ بذلك تظليم الشيخين بمنع فـاطمة إرثها من أبيـها، والعباس إرثه من ابن أخيه ﷺ ... ".

أما عن التفضيل بين أبي بكر وعلي ـ رضي الله عنهما ـ فيقول عند كلامه عن قوله تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ... ﴿١٩﴾ ﴾[4] الآية" وتعلقت به الشيعة فقالوا: كان علي يوم بدر أول مبارز، وأبوبكر في العريش مع النبي ـ عليه السـلام ـ فعـلي أعظم جهـادا، فليكن أفـضل من أبي بكر لقـوله ـ عـزوجل ـ: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ ...﴿٩٥﴾ ﴾[5]. وأجيب بأنه يلزمكم مثله في النبي ﷺ وأن عليا أفـضل منه، وأنه محال[6]. فإن قيل: النبـي ـ عليه السلام ـ

---

(١) انظر سنن أبي داود: كتاب الإمارة، باب في صفـايا رسول الله ﷺ من الأموال" . وابن الحدثان هو أبوسعـيد اليربوعي النصرى، تابعي من أهل المدينة ولـد في الجاهلية وتأخر إسـلامه، وكان عريف قومه في زمن عمر، وكان ثقة. (انظر تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠، والأعلام ٥/ ٢٥٨).

(٢) الإشارات الإلهية ص ٢٩٢ خ المكتبة الأحمدية.

(٣) سورة النمل، آية: ١٦.

(٤) سورة الحج، آية: ١٩.

(٥) سورة النساء، آية: ٩٥.

(٦) الأولى أن يقول: " وهذا محال" .

كالإمام شأنه أن يقاتل بين يديه. قيل: وأبوبكر كالوزير شأنه أن يكون مع الإمام"[1] اهـ.

ويقول عن فضل أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ عند كلامه عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ ... (٢٢)﴾[2] الآية: " احتج بها الجمهور على فضل أبي بكر لأنها نزلت فيه، إذ ترك الإنفاق على مسطح[3]، وقد وصف فيها بأنه من أولي الفضل. أي والله الذي لا إله إلا هو إنه من أولي الفضل. وأجابت الشيعة ـ لعنهم الله ـ بأن الوارد فضل المال وكثرته بدليل اقترانه بالسعة، لا الفضل الذي هو الكمال ضد النقص. لكن يحتج بها الجمهور من موضع آخر وهو قوله عز وجل: ﴿... أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ... (٢٢)﴾[4] وهو يدل على أنه مغفور له[5]".

ويقول أيضا في كلامه عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ... (٤٠)﴾[6] الآية: "احتج بها أهل السنة على فضل أبي بكر رضوان الله عليه من وجوه:

---

(١) الإشارات الإلهية" مخطوط" ص ٢٧٣.

(٢) سورة النور، آية: ٢٢.

(٣) مسطح بن أثاثة بن عباد بن عبد المطلب بن عبد مناف، من قريش، يكنى بأبي عباد. وهو من الشجعان الأشراف من الصحابة، كان اسمه عوفا ولقب بمسطح فغلب عليه، أمه بنت خالة أبي بكر كان يمونه أبوبكر لهذه القرابة منه، كان مسطح ممن جلدهم النبي ﷺ في حديث الإفك، وحلف أبوبكر بألا ينفق عليه فلما نزلت الآية المذكورة، عاد إلى الإنفاق. (انظر الإصابة ٣/٤٠٨، ت (٧٩٣٥)، والأعلام٧/ ٢١٥).

(٤) سورة النور، آية: ٢٢.

(٥) الإشارات الإلهية ص:٢٧٩.

(٦) سورة التوبة: ٤٠.

أحدها: النص على ثبوت صحبته، حتى قال بعض العلماء من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر، لتكذيبه النص المتواتر القاطع بإثباتها، بخلاف من أنكر صحبة غيره، لعدم ذلك. وفيه نظر، لأن غيره كعمر وعثمان[1] وعلي وباقي العشرة ثبتت صحبتهم بالتواتر، وهو قاطع أيضا، فإنكار مدلوله كفر.

الوجه الثاني: قوله ﴿لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فكان له في هذه المعية اختصاص لم يشاركه فيه صحابي. وقد يقال بأن هذا التشرف حصل لجميع الصحابة بقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾[2]. غير أن لقائل أن يقول: معية أبي بكر ـ رضوان الله عليه ـ أخص من هذه، فيمتاز بها.

الوجه الثالث: ((ثاني اثنين)) قالوا: فيه إشارة إلى شيئين أحدهما أنه ثانيه من بعده في الإمرة، والثاني أن اسمه لم يفارق اسمه إذ كان يقال له خليفة رسول الله حتى توفي، فقيل لمن بعده وهو عمر ـ رضي الله عنه ـ أمير المؤمنين، وانقطعت خصيصة ثاني اثنين.

الوجه الرابع: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ قال بعضهم: الضمير في عليه لأبي بكر، لأن النبي ﷺ لم تفارقه السكينة حتى يحتاج إلى نزولها عليه، وإنما أنزلت

---

(١) عثمان بن عفان بن أبي العاصي... الخليفة الثالث، أسلم قبل دخول الرسول ـ ﷺ ـ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، خلفه الرسول ـ ﷺ ـ يوم بدر على زوجته بنت الرسول رقية يمرضها، وضرب له بسهمه وأجره، وزوجه أم كلثوم بعدها فسمي ذوالنورين، وبايع عنه الرسول في بيعة الرضوان وأخبر أن الملائكة تستحي من عثمان، وأخبر بأنه ستصيبه بلوى وتحقق ذلك، قتل ـ رضي الله عنه ـ في ذي الحجة سنة ٣٥هـ بعد خلافة دامت ١٢ سنة تقريبا (انظر صفة الصفوة ١/ ٢٩٤ ـ ٣٠٧ والإصابة ٢/ ٤٦٢، ت ٥٤٤٨).

(٢) سورة محمد، آية: ٣٥.

على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وهو ضعيف. أما أولا فلقوله ـ عز وجل ـ: ﴿أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ فقد أنزلت عليه السكينة، مع ماذكروه من عدم مفارقتها له، ولا اقتناع من أن يزاد سكينة على سكينة، ونورا على نور. وأما ثانيا فلأن ذلك يقتضي أن الضمير في ﴿ وأيده بجنود لم تروها ﴾ لأبي بكر أيضا، وهو خلاف الظاهر بل القاطع، ولا أظن أحدا قال بذلك.

أما الشيعة فطعنوا على أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ من الآية بوجه واحد وهو قوله: ((لاتحزن)) دل ذلك على أنه حزن لأجل طلب الكفار لهما، مع أنه مع رسول الله، بعين الله، تحت رعاية الله، وقد سمع النبي ﷺ يخبر بأنه سيظهر على أعدائه، ويظهر دينه على جميع الأديان، فحزن أبي بكر والحالة هذه إما شك في هذا الخبر، أو ضعف منه وخور. قالوا: وإنما الشجاع المؤمن، واللبيب الموقن: علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ حيث كان نائما على فراش النبي ﷺ معرضا نفسه من أيدي الكفار لشرب كؤوس الحمام[1]، فما شك وما خار، ولاتبلد ذهنه ولا جار!. وأجاب أهل السنة بأن حزن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ لم يكن ضعفا ولا شكا، وإنما كان رقة غالبة، وشفقة على النبي ﷺ، ولو كان ذلك عن شك أو ضعف لكان أولى ما صدر منه يوم بدر حين قال النبي ﷺ: «اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد» وأخذ أبوبكر بردائه يقول: "كفاك مناشدتك ربك، إن الله سينجز لك ما وعدك[2]" وهذا غاية الشجاعة والإيمان،

---

(١) الحمام: قضاء الموت وقدره. يقال نزل به حمامه: أي قدره وموته. (انظر لسان العرب ١٢/ ١٥١، ومختار الصحاح ص١٥٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم في كتاب الجهاد، باب الامداد بالملائكة في غزوة بدر حديث ٥٨، والترمذي في تفسير سورة الأنفال، وأحمد في المسند ١/ ٣٠، ٣٢، ١١٧.

ثبوت الجنان عند قراع الأقران"[1]. اهـ.

أما ما يتعلق بخلافة أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ فسيأتي كلامه عنها في آخر الكتاب ـ إن شاء الله[2] ـ وله كلام غير هذا في الإشارات وشرح الأربعين يضيق المقام بذكره.

وقال عن عمر ـ رضي الله عنه ـ في شرح الأربعين النووية ص: ٧٩ عند شرحه لحديث « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله. . . » [3] يقول: " واعلم أن من العجب أن هذا الحديث الثابت كان عند ابن عمر، وهو نص في قتال ما نعي الزكاة، ولم يبلغ أبا بكر وعمر حتى تشاجرا في قتالهم وجرى بينهما مناظرة في ذلك، واحتاج أبوبكر إلى القياس بأن قال: " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة [4]" وإلى الإستنباط من قوله عليه السلام: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها) قال أبوبكر: والزكاة من حقها. قلت: فلعل ابن عمر كان غائبا أو مريضا أوناسيا للحديث ذلك الوقت، ولقد وفق أبوبكر حيث وقع استنباطه وقياسه موافقا هذا النص، وخالفه عمر في هذا المقام، وكان الأولى

---

(١) الإشارات الإلهية ص١٨٨ ـ ١٨٩.

(٢) انظر ص: ٧٣٦ من هذا البحث.

(٣) أخرجه البخاري في الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾(التوبة: ٥) ومسلم في الإيمان، باب الأمر بقتال الناس. . . ، حديث ٣٢ ـ ٣٦، وأبوداود في الجهاد باب على ما يقاتل المشركون؟ (١٠٤)، والترمذي في تفسير سورة الغاشية، والنسائي في الزكاة، باب مانع الزكاة، وابن ماجة في أول الفتن، والدارمي في السيرة، باب في القتال على قول النبي ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس. . .» وأحمد في المسند ٤/٨.

(٤) سنن النسائي كتاب الزكاة، باب مانع الزكاة.

بموافقته لما عهد منه من موافقته النصوص حتى قال: "وافقت ربي في ثلاث[1]" ثم إن عمر رجع في هذه القضية إلى متابعة أبي بكر . . . "اهـ.

أما عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ فيتضح من كلامه[2] عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا . . . (١٥٥)﴾ الآية[3]: " فيها مسائل للشيعة: الأولى: أن هذا كان يوم أحد ففر عثمان وثبت علي فدل على أن عليا أفضل لأنه سلم من هذه الآية.

الثانية: أن الفرار من الزحف كبيرة خصوصا عن النبي ـ عليه السلام ـ في تلك الضائقة، وقد أتاها عثمان.

الثالثة: دلت الآية على أن فرار عثمان إنما كان عقوبة على ذنب أتاه لقوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ فكان عقوبة الذنب ذنبا مثله.

وأجابت السنة بتمام الآية وهو قوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾. والذنب المغفور كغير المعمول، ولو ساعد الدليل على أن يحمل تولي عثمان وأصحابه توليا مباحا إما تحرفا لقتال أو تحيزا إلى فئة لكان أولى، لكنه لا يساعد، إذ لو كان كذلك لما لحقتهم اللائمة، ولما احتاجوا إلى العفو، وبما أجبنا به أولا أجاب ابن عمر عن عثمان مع معرفة ابن عمر بحقيقة الواقعة[4]" اهـ.

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة، باب ماجاء في القبلة. . .(٣٢) وفي تفسير سورة البقرة، باب (٩)، ومسلم في فضائل الصحابة، حديث٣٤، وأحمد في المسند (١/ ٢٣ ـ ٢٤).

(٢) في الإشارات الإلهية ص ٨٣ خ الأحمدية.

(٣) سورة آل عمران: ١٥٥.

(٤) انظر صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان، وكتاب المغازى، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ....﴾ (آل عمران: ١٥٥) وانظر جامع الترمذي كتاب المناقب، باب مناقب عثمان، ومسند أحمد (١/ ٦٨). وانظر تفسير ابن كثير١/ ٢١٣ ـ ٢١٤، ٢١٨ ـ ٤١٩.

أما ما قاله عن عائشة وحفصة[1] ـ رضي الله عنهما ـ فيتبين من قوله في كلامه في الإشارات عن قوله تعالى: ﴿ ...فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ... ﴿١٠﴾﴾[2] الآية. قال: "زعمت الرافضة لعنهم الله أنه يعرض بعائشة وحفصة، وأنهما كامرأتي نوح ولوط في النار لتظاهرهما على رسول الله ـ ﷺ ـ وأذاهما له، وزعموا لعنهم الله أن عائشة كان بينها وبين عثمان شيء فنزغ لها بهذه الآية معرضا بها فحقدت عليه ثم لم تزل تؤلب الناس عليه حتى قتلوه، ثم إنها ندمت مع كراهتها إمرة علي فخرجت تطلب بثأره. وأجاب الجمهور بأن هذا كله لم يكن منه شيء وهو كذب مختلق، وإجماع أهل الحق على أنهما زوجتاه في الجنة لا يعارضه شيء مما ذكروه" اهـ[3].

ويقول في الإشارات أيضا عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ في كلامه عن قوله تعالى: ﴿ ..وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ...﴿٣٣﴾﴾[4] الآية: "يتعلق بها الشيعة أخزاهم الله

---

(١) حفصة بنت عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ وإحدى أزواج النبي ﷺ ولدت بمكة وتزوجها خنيس بن حذافة السهمي، فكانت عنده إلى أن ظهر الإسلام فأسلما، وهاجرت معه إلى المدينة فمات عنها فخطبها رسول الله ﷺ من أبيها، فزوجه إياها سنة اثنتين أو ثلاث من الهجرة، واستمرت في المدينة بعد وفاة الرسول ﷺ إلى أن توفيت سنة ٤٥هـ ( الاعلام ٢/ ٢٦٤، وطبقات ابن سعد ٨/ ٨١ ـ ٨٦).

(٢) سورة التحريم، آية: ١٠.

(٣) ورد في صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ـ رضي الله عنها ـ وكتاب الفتن، باب(١٨) من حديث عمار أن عائشة زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ولعل العلماء قالوا ما ذكره الطوفي استنباطا من مفهوم قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ (الزخرف: ٧٠) وهو قول بعض المفسرين.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

على عائشة ويقول أمرت أن تقر في بيتها فخالفت وخرجت إلى تفريق المؤمنين، وقتال علي بالبصرة حتى قتل بسببها من قتل، وهم نحو عشرين ألفا. والجمهور أجابوا بأنها خرجت مصلحة للفساد ومطفية للثائرة مجتهدة في ذلك فهي لاتنفك من أجر أصاب اجتهادها أو أخطأ" اهـ.

وقال عن معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه [1] ـ في الإشارات عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾[2]. "يحتج بها الشيعة أبعدهم الله من رحمته على معاوية ومن شايعه على قتال علي، لأن النبي ـ عليه السلام ـ أمر بقتال المارقين وهم الخوارج[3]، والناكثين وهم أهل الجمل،

---

(١) معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي الأموي، أسلم عام الفتح وجعله الرسول ﷺ من كتاب الوحي، وشهد حنينا ثم اليمامة، وكان سيدا وحليما مع كرم وشهامة ولاه عمر الشام ثم عثمان فأحسن الولاية وطالب بدم عثمان في زمن علي بن أبي طالب... وانحاز إليه أناس ووقع بسبب ذلك فتنة مشهورة في صفين والجمل، ولما قتل علي بويع لمعاوية بالخلافة واجتمعت عليه الكلمة حين صالحه الحسن بن علي ـ رضي الله عنهم ـ عام أربعين من الهجرة. توفي سنة ستين من الهجرة. (انظر البداية والنهاية ٨/ ١١٧ ـ ١٤٤، والإصابة ٣/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤).

(٢) سورة الجن، آية: ١٥.

(٣) هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ بعد التحكيم، وانحازوا إلى حروراء، وتبرأوا من علي ومعاوية والحكمين. وأيضا يطلق هذا الاسم "الخوارج" على كل من خرج على الإمام. والخوارج فرق شتى منها: المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والبيهسية والعجاردة، والإباضية، والثعالبة، والصفرية الزيادية. (انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٤ـ١٣٨، ودراسة عن الفرق وتاريخ المسلمين" الخوارج والشيعة" ص٣٥ وما بعدها).

والقاسطين وهم أهل الشام[1]'. وأجاب الجمهور بأنا لا نسلم صحة الحديث، ولا أن معاوية كان من القاسطين ولو سلمنا عموم الآية في كل قاسط، بل هي لقاسطين معهودين من الجن أو غيرهم».

أما عن مذهب الرافضة في الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فيقول الطوفي ـ رحمه الله ـ في كلامه في كتابه الإشارات عن قوله تعالى: ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ... (١٤٤) ﴾[2] الآية: "زعمت الشيعة أن هذا تعريض من الله ـ عز وجل ـ بارتداد الصحابة وانقلابهم على أعقابهم بعد موت النبي ـ عليه السلام ـ، قالوا: والنبي ـ عليه السلام ـ علم ذلك فأكد في نهيهم عنه بقوله: « لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض: لا ترجعوا بعدي ضلالا»[3] الحديث. لم يكفه ذلك حتى أخبرهم بأنهم سيؤخذ بهم يوم القيامة عن الحوض ذات الشمال إلى النار، حتى لا يخلص منهم إلا مثل همل النعم. قالوا: وقد كان ذلك منهم بانحرافهم عن إمامهم المنصوص عليه وهو علي إلى غيره.

وأجاب الجمهور بأنا لا نسلم في أن الآية تعريضا بما ذكرتم، وإنما هو جملة شرطية دخل عليها حرف الاستفهام فأفادت تشجيعهم على القيام بالأمر معه ومن

---

(١) قلت: وليس هذا لفظ المروي عن الرسول ـ ﷺ ـ فله عدة ألفاظ أوردها ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٣٠٥ـ ٣٠٧).

(٢) سورة آل عمران، آية: ١٤٤.

(٣) أخرجه مسلم في القسامة باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، حديث٢٩، وفي الايمان حديث ١١٨، ١٢٠، والبخاري في العلم، باب الانصات للعلماء، وفي المغازي، باب حجة الوداع، وفي الديات، الباب الثاني منه، وأبوداود في السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، والترمذي في الفتن، باب ماجاء لاترجعوا بعدي كفارا، (٢٨)، والدارمي في المناسك، باب في حرمة المسلم، وأحمد في المسند (٢/ ٨٥، ٨٧، ١٠٤).

بعده، وقد فعلوا، وأما قوله ـ عليه السلام ـ «لاترجعوا بعدي كفارا» فهو نهي لهم عن مثل ما خلفت به الأمم السالفة أنبياءها من الكفر، وقد امتثلوا فلم يكفروا، وما كان بينهم من الحروب والدماء فعن تأويل واجتهاد، هم فيه معذورون، بل ومأجورون. وأما المأخوذ بهم ذات الشمال إلى النار فمحمول على أهل الردة الذين ماتوا عليها" اهـ.

أما عن عصمة الأئمة فيتبين موقفه منها في شرحه على مختصره لروضة الناظر عند كلامه في شروط المتواتر ورده على الشريف المرتضى الرافضي المعتزلي [1] في اشتراطه عدم اعتقاد نقيض المخبر به لافادة التواتر العلم. قال الطوفي: "ولذلك اشترطت الشيعة وابن الراوندي[2] أن يكون فيهم الإمام المعصوم ليكون خبرهم معصوما من الخطأ، وهو باطل:

أما أولاً: فلأنهم منازعون في وجود العصمة في غير الملائكة والرسل.

وأما ثانيًا: فلأن عصمة خبرهم مستندة إلى كثرتهم لا إلى أوصافهم وإلا

---

(١) علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن إبراهيم، من أحفاد الحسين بن علي، إمامي معتزلي أديب شاعر، ولد ببغداد وله تصانيف في التشيع منها: الشافي في الإمامة، ويرى بعض المترجمين له أنه هو الذي وضع نهج البلاغة لا أخوه الشريف الرضي، توفي المرتضى ببغداد سنة ست وثلاثين وأربعمائة من الهجرة. (انظر البداية والنهاية ١٢/ ٥٣، والأعلام٤/ ٢٧٨).

(٢) أحد الزنادقة الملحدين الذين كانوا يلازمون الرافضة واسمه أحمد بن يحيى بن الراوندى يقول عنه ابن الجوزى: " كنت أسمع عنه بالعظائم حتى رأيت في كتبه مالم يخطر على قلب أنه يقوله عاقل"، كان أبوه يهوديا فأظهر الإسلام، ويقال إنه حرف التوراة كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه وألف كتابا في الرد على القرآن سماه: الدامغ. اختلف في سنة وفاته، فقيل ٢٤٥،وقيل ٢٩٨، وقيل غير ذلك. (انظر البداية والنهاية ١١/ ١١٢ ـ ١١٣، وشذرات الذهب ٢/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

لاشترطت العدالة والإسلام. ولأن العلم مخلوق لله سبحانه وتعالى مقارنا للإخبار، فكما جاز خلقه مع إخبار المعصوم جاز خلقه مع إخبار المعصوم، ثم يلزمهم ألا يوجد في بلاد الكفر تواتر، إذ لا معصوم فيهم اللهم إلا أن لايشترطوا للعصمة الإسلام فإن عقولهم أسخف من هذا". [شرح الطوفي على مختصره جـ ٢ الورقة ١٤٥/ب ٦١].

فهو هنا يطعن في أهم ركيزة عند الشيعة وبالأخص الإمامية.

وعن إمامة علي رضي الله عنه يقول في حديثه عن أهل التواتر في المصدر السابق: « قوله وكتمان أهل التواتر ما يحتاج إلى نقله ممتنع، خلافا للإمامية» أي: إن أهل التواتر، وهو العدد الذي يحصل العلم التواتري بخبرهم، هل يجوز أن يكتموا ما تدعو الحاجة إلى نقله؟ فالجمهور قالوا: لا يجوز. وقالت الإمامية ـ وهم أشهر طوائف الشيعة ـ : يجوز ذلك لاعتقادهم كتمان النص على إمامة علي رضي الله عنه أي لأنهم يعتقدون أن الصحابة رضي الله عنهم مع كثرتهم كتموا النص على إمامة علي والوقوع يدل على الجواز قطعا. لنا: أن كتمانهم لما يحتاج إلى نقله كتواطؤهم على الكذب، وتواطؤهم على الكذب بكتمانهم لما يحتاج إلى نقله محال، أما الأولى: فلأن كتمان الواقع ـ خصوصا مع الحاجة إلى نقله ـ بمثابة قولهم: ما وقع، وقولهم لما وقع: انه ما وقع كذب قطعا، لأن الكذب هو الإخبار بخلاف الواقع، وهذا كذلك، فكذلك الكتمان الذي هو بمثابة قولهم: ما وقع. أما أن تواطؤهم على الكذب محال فلما سيأتي عن قريب ـ إن شاء الله ـ[1]" اهـ.

هذه بعض مقالاته عن الرافضة، وإن كانت مختصرة، لأنها منقولة من كتبه

---

(١) شرح مختصر الروضة للطوفي ٢/ ١٠٠-١٠١.

التي لم يرد بها الرد عليهم فـ "الصعقة الغضبية" ليس ـ كما قال ـ موضع الرد عليهم، و "الإشارات" قد التزم فيه منهج الاختصار في ذكر استدلال الشيعة وغيرهم بآيات القرآن الكريم على مذاهبهم، وكان يتوسع فيه في الرد عليهم أكثر من غيرهم.

ومما تقدم من المقالات يتبين أنه لو كان رافضيا مثلهم لما كشف عن عورتهم في رد رواية الصحابي لمرض في قلوبهم... وما لعنهم. فما عرف أن رافضيا يلعن جماعته، ويسبهم، ويذكر بأنهم استطالوا على الصحابة، وكيف يدافع عن أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وحفصة ومعاوية وغيرهم من الصحابة ـ رضي الله عنهم جميعا ـ وهم أعداء الشيعة وأعداء لعلي ـ رضي الله عنه ـ في نظرهم مع أن الرافضة ما كانت تخفي هذا في زمن الطوفي ـ رحمه الله ـ كابن المطهر الحلي، وغيره لمكانتهم عند الخلافة العباسية ووجود من يقدمهم عندها وهو الوزير الخبيث ابن العلقمي. ثم إن هناك من علماء الرافضة الكثير يصرحون بمذهبهم ويحضرون مجالس علماء أهل السنة ولم يدعوا أنهم على غير مذهب الرافضة.

لكن مع هذا نورد ما قاله عنه المؤرخون له، واتهموه به مما يتعلق بالرفض لتظهر لنا الصورة الواضحة عن هوية الطوفي ـ رحمه الله ـ يقول الإمام الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه: "العبر.." عن ترجمة الطوفي: "هو سليمان بن عبدالقوي... الشيعي" ولم يزد عن هذه الكلمة عنه.

أما ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ فيقول بعد أن بين منزلته العلمية وفضله وتدينه وآثاره العلمية...: "وكان مع ذلك كله شيعيا منحرفا في الاعتقاد عن السنة حتى إنه قال عن نفسه:

حنبلي رافضي أشعري ... هذه إحدى العبر"

حتى إنه صنف كتابا سماه: "العذاب الواصب على أرواح النواصب"[1] اهـ.

قلت: والعجيب أن ابن رجب ـ رحمه الله ـ: يقول عنه قبل ذلك: "وكان فاضلا صالحا...

وجالس فضلاء بغداد في أنواع الفنون وعلق عنهم... ولقي الشيخ تقي الدين ابن تيمية والمزي والشيخ مجد الدين الحراني، وجالسهم"[2] إلى أن قال: "وله نظم رائق وقصائد في مدح النبي ﷺ وقصيدة طويلة في مدح الإمام أحمد" [3] اهـ.

فقد مدحه أولا وبين فضله وصلاحه ثم بين أن شيوخه ومن جالسهم فضلاء الناس في عصره. وما أدري كيف يسكت عنه أولئك العلماء الفضلاء، ولا يعرفون انحرافه وتشيعه، ثم كيف يجمع بين الفضل وعلو المنزلة في العلم وبين الرفض؟ وكيف يتصنع في المسائل العلمية، مع جرأته التي تتضح من كتبه ومناظراته ـ رحمه الله ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية (٢/ ١٧٩- ١٨٠): "وأما من عرف الإسلام كيف كان وهو مقر بأن محمدا رسول الله باطنا وظاهرا، فإنه يمتنع أن يكون في الباطن رافضيا، ولا يتصور أن يكون في الباطن رافضيا إلا زنديق منافق، أو جاهل بالإسلام... فهل عرف أحد من فضلاء أصحاب الشافعي وأحمد وأصحاب مالك كان رافضيا؟ أم يعلم بالاضطرار أن كل فاضل منهم من أشد الناس إنكارا للرفض، وقد اتهم طائفة من أتباع الأئمة بالميل إلى نوع من الاعتزال، ولم يعلم أحد منهم اتهم بالرفض لبعد الرفض عن طريق أهل العلم..." اهـ.

---

(١، ٢، ٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٧، ٣٦٨.

ثم كيف يكون رافضيا خبيثا ويمدح أعداء الرفض وينتحل مذهبهم الفقهي فهو كما قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ مدح الإمام أحمد بقصيدة طويلة وهو لم يدرك الإمام أحمد حتى يتملق له وينافق في مدح مذهبه، ثم لم يكن هناك سلطة قوية تنتحل مذهب الحنابلة، بل كانت معظم الناس على مذاهب فقهية متعددة، بل وعلى مذاهب عقدية ونحل متفرقة وربما كان الحنابلة ومن على مذهب الإمام أحمد في العقيدة قليلين ومضايقين في عصر الطوفي كما حدث للإمام شيخ الإسلام ابن تيمية وهو رأس الحنابلة في ذلك الوقت وغيره.

وابن تيمية ـ رحمه الله ـ من أشد أعداء الرافضة بل لقد كان كلامه عليهم صواعق مدمرة كما يتضح ذلك من كتابه المتقدم، ومع ذلك يلتقي به الطوفي ـ رحمه الله ـ ويجلس في حلقاته قرابة عام في دمشق ويدرس ابن تيمية على الطوفي العربية أياما، بل لقد كان الطوفي ـ رحمه الله ـ معجبًا أشد العجب بابن تيمية ـ رحمه الله ـ فهو يقول فيه فيما نقله الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم في مقدمته لفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: "كأن العلوم بين عينيه يأخذ ما يشاء ويذر ما يشاء وعرضت عليه أبيات فثنى رجليه وأجاب عنها بمائة وتسعة أبيات، ويجيب في القعدة الواحدة بعدة كراريس"[1] اهـ.

وقد نقل الشيخ عبدالله بن حميد ـ رحمه الله ـ في مقدمة الفتاوى كلاما للطوفي في ابن تيمية نحو هذا يقول: "قال عنه الطوفي: "سمعته يقول: من سألني مستفيدا حققت له ومن سألني متعنتا نقضته فلا يلبث أن ينقطع فأكفى مؤنته"[2] اهـ. وقال الطوفي في شرح مختصر الروضة (٢/ ٤٤٥): "وقد صنف

---

(١) نقله من الدرر الكامنة ١/ ١٥٣.

(٢) وقد نقل ذلك عن الدرر الكامنة ١/ ١٥٣.

شيخنا تقي الدين أبوالعباس أحمد بن تيمية ـ رحمة الله عليه ـ كتابا بناه على بطلان نكاح المحلل، وأدرج فيه جميع قواعد الحيل، وبين بطلانه بأدلته على وجه لا نزيد عليه".

أما ما روي عن الطوفي أنه قال:

حنبلي رافضي أشعري ... هذه إحدى العبر

فقد نقلها المؤرخون، ونسبوها إليه ورووها بروايات مختلفة منها:

حنبلي رافضي ظاهري ... أشعري انها إحدى العبر

ومنها:

أشعري حنبلي وكذا ... رافضي هذه احدى العبر

ولم يشر أحد إلى موضعها من كتبه ولم أجد لها ذكرا أو إشارة فيما حصلت عليه من كتب الطوفي ـ رحمه الله ـ ولا يستبعد إلصاقها به، فقد ألصق بمن هو أفضل من الطوفي أكبر من ذلك، فقد نسب إلى الإمام مالك[1] ـ رحمه الله ـ بطريق الجزم أنه أباح إتيان المرأة في الدبر وتناقل هذا القول كثير من العلماء مع أنه بريئ من ذلك ـ رحمه الله ـ وقد أنكر هذه المقولة عندما سئل عن ذلك. وليس الإمام مالك وحده أو الطوفي وحده الذي ألصقت بهما التهم والأقوال الباطلة.

---

(١) أبوعبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي الحميري إمام دار الهجرة، إمام الشافعي وأبي حنيفة والثوري والأوزاعي وابن المبارك وغيرهم، ولد عام وفاة أنس بن مالك ومن أشهر كتبه الموطأ، توفي ـ رحمه الله ـ في سنة ١٧٩هـ، وقيل غير ذلك. ودفن بالبقيع في المدينة النبوية. من أقوال الشافعي فيه: "مالك حجة الله على خلقه بعد التابعين..." قال المؤرخون له: "أخذ عن تسعمائة شيخ من التابعين وستمائة من تابعيهم". (انظر سير أعلام النبلاء ٨/ ٤٨ ـ ١٣٨، والديباج ١/ ٨٢ ـ ١٣٩).

وعلى فرض صحة نسبة هذه المقولة إليه فأي رواية منها قال؟ لأن في بعضها أنه رافضي وأشعري وحنبلي وبينها اختلاف، وفي بعضها أنه حنبلي أشعري ظاهري، وبين الثلاثة اختلاف أيضا ولا تجتمع هذه المذاهب لا في الفقه ولا في العقيدة إلا على وجه التعسف وقد تتفق في بعض المسائل فقط. ثم إن كتبه تشهد بأنه حنبلي في الفقه، وغير رافضي في الفقه ولا في العقيدة، وإن كان له رأيه ومنهجه المتميز عن غيره بالجرأة وقوة الأسلوب.

أما أنه كتب "العذاب الواصب على أرواح النواصب" فلم أعثر على الكتاب حتى أتحقق هل قال فيه ما يدل على أنه على مذهب الرافضة؟ أم أنه يرد على من ناصب عليا العداء وأبغضه من الخوارج وغيرهم فنحن معه في أننا نبغض من أبغض عليّ بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وعاداه وأنكر فضله بعد الخلفاء الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ـ رضي الله عنهم جميعا ـ وكل من لم يعرف قدره من الشيعة والخوارج وغيرهم فسيلقى جزاءه يوم القيامة.

ولم يكتف ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ بهذا القول عن الطوفي ـ رحمه الله ـ بل قال عنه أيضًا: "ومن دسائسه الخبيثة أنه قال في شرح الأربعين للنووي: اعلم أن من أسباب الخلاف الواقع بين العلماء: تعارض الروايات والنصوص، وبعض الناس يزعم أن السبب في ذلك: عمر بن الخطاب، وذلك أن الصحابة استأذنوه في تدوين السنة من ذلك الزمان، فمنعهم من ذلك، وقال: لا أكتب مع القرآن غيره، مع أن النبي ﷺ قال: «اكتبوا لأبي شاه خطبة الوداع»[1] وقال:

---

(١) الصحيح أنها خطبة فتح مكة لاخطبة الوداع. والحديث أخرجه البخاري في الديات، باب من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، وأبوداود في المناسك، باب تحريم حرم مكة (٩٠) والترمذي في العلم، باب ماجاء في الرخصة فيه، وفي مسند أحمد (٢/ ٢٣٨).

«قيدوا العلم بالكتابة»[1] قالوا: فلو ترك الصحابة يدون كل واحد منهم ما روى عن النبي ﷺ لانضبطت السنة، ولم يبق بين آخر الأمة وبين النبي ﷺ في كل حديث إلا الصحابي الذي دون روايته، لأن تلك الدواوين كانت تتواتر عنهم إلينا، كما تواتر البخاري ومسلم ونحوهما" قال ابن رجب: "فانظر إلى هذا الكلام الخبيث المتضمن: أن أمير المؤمنين عمر - رضي الله عنه - هو الذي أضل الأمة، قصدا منه وتعمدا ولقد كذب في ذلك وفجر"[2] اهـ.

قلت: قد اطلعت على شرح الأربعين للنووي وهو مخطوط بدار الكتب بمصر واستعرضته من أوله إلى آخره فلم أجده، ووجدت له كلاما عكس هذا يمدح فيه أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما - منه ما تقدم في قصة اختلاف رأي أبي بكر وعمر في قتال المرتدين، وأن عمر - رضي الله عنه - خالف أبا بكر أول الأمر وكان الأولى موافقته لما عهد منه من موافقة النصوص حتى إن الوحي وافق رأيه.

والقول الآخر قول الطوفي - رحمه الله - في شرحه لحديث (ص ١٥٦-١٥٧) «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»[3] قال: "اختلف

---

(١) أخرجه الدارمي في المقدمة، باب من رخص في كتابة العلم عن عمر أنه قال: (قيدوا العلم بالكتاب) ولم يرفعه إلى النبي ﷺ قال السخاوي في المقاصد ص٥٥: " وبالجملة ففي الاذن بالكتابة أحاديث منها: ما عند الطبراني وأبي نعيم في الحلية وغيرهما عن ابن عمرو مرفوعا بلفظ "قيدوا العلم بالكتاب" وعند العسكري من حديث عبد الحميد بن سليمان عن أنس مرفوعا: " ما قيد العلم بمثل الكتاب" وقال العسكري ما أحسبه من كلام النبي ﷺ ... وأنه من قول أنس" اهـ.

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٦٨.

(٣) أخرجه الترمذي في العلم، باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وأبوداود في السنة، في لزوم السنة، وابن ماجه في المقدمة باب اتباع الخلفاء الراشدين، والدارمي في المقدمة، باب اتباع السنة، وأحمد في المسند (٤/١٢٦, ١٢٧).

الناس في هذه اللام فقال أهل السنة هي للعهد والخلفاء الراشدون هم الأربعة بعد النبي ﷺ بدليل قوله: «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر»[1] ونحوه. وقال الشيعة اللام لاستغراق الوصف أي كل من اتصف بالرشد والهداية من الخلفاء بعدي فعليكم بسنته، وإنما قالوا ذلك لأن أبا بكر وعمر وعثمان ـ رضوان الله عليهم ـ عندهم ليسوا من الخلفاء الراشدين المهديين، لتقدمهم على علي بن أبي طالب بغير حق ووضعهم الخلافة في غير النصاب الذي وضع الله ـ عز وجل ـ فيه النبوة وهم بنو هاشم بزعمهم. ونصوص السنة وإجماع أهلها ترد عليهم في ذلك. والراشد الذي أتى بالرشد واتصف به والمهدي الذي هداه الله ـ عز وجل ـ لأقوم الطرق" اهـ.

وقد تأملت النص الذي أورده ابن رجب ـ رحمه الله ـ فرأيت أنه لا يدل على أنه من قول الطوفي ـ رحمه الله ـ ولا أنه يؤيده، بدليل أن أول النص يدل على أنه يحكي قولا لبعض الناس في ذلك: "وبعض الناس يزعم أن السبب في ذلك عمر بن الخطاب"، ثم يقول أيضا: "وقالوا: فلو ترك الصحابة يدون كل واحد..." فليس في النص ما يؤكد ذلك ولا أنه يؤيد قول هؤلاء الزاعمين والقائلين بذلك. والذي يؤخذ عليه في هذا عدم رده على هذه المعقولة.

قال ابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ: "وقد كان الطوفي أقام بالمدينة النبوية

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقب أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ـ كليهما، وقال: "هذا حديث حسن"، وابن ماجه في المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله ﷺ، وأحمد في المسند (٥/ ٣٨٢، ٣٨٥، ٣٩٩).

مدة يصحب الرافضي: السكاكيني المعتزلي[1]، ويجتمعان على ضلالتهما وقد هتكه الله، وعجل الانتقام منه بالديار المصرية"[2] اهـ.

قلت: مجالسته للسكاكيني لا تدينه بأنه على مذهبه وإلا لكان مجموعة من فضلاء الأئمة الذين جالسوا السكاكيني وسمعوا منه: رافضة أيضا من أمثال الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ فقد سمع من السكاكيني الحديث وقال الذهبي عن السكاكيني: "كان حلو المجالسة ذكيا عالما فيه اعتزال، وينطوي على دين وإسلام وتعبد، سمعنا منه، وكان صديقا لأبي، وكان ينكر الجبر، ويناظر على القدر، ويقال أنه رجع في آخر عمره..."[3]، ثم إن ما حصل له بالديار المصرية كان قبل مجالسته للسكاكيني. بل إن هناك أمورا تشهد بأنه لا يوافقه على مذهبه، فمذهب الطوفي في القدر على خلاف مذهب السكاكيني، وهو ينكر عليه ذلك. يقول الطوفي في الإعجاب بابن تيمية: "وكان من أذكياء العالم، وله في ذلك أمور عظيمة منها أن محمد... السكاكيني عمل أبياتا على لسان ذمي في إنكار القدر... فوقف عليها ابن تيمية فثنى إحدى رجليه... وأجاب... بمائة وتسعة أبيات"[4].

---

(١) محمد بن أبي بكر بن أبي القاسم الهمذاني ثم الدمشقي السكاكيني الشيعي، ولد بدمشق سنة ٦٣٥هـ وطلب الحديث وتأدب وسمع وهو شاب من إسماعيل ابن العراقي وغيره، وروى عنه الذهبي وغيره، واقعد في صناعة السكاكين عند شيخ رافضي فأفسد عقيدته، ولم يحفظ له سب في الصحابة بل نظم في فضائلهم إلا أنه كان يناظر على القدر ويقال إنه رجع في آخر حياته. توفي سنة ٧٢١هـ. (انظر الدرر الكامنة ٣/ ٤١٠ ـ ٤١١، والبداية والنهاية ١٤/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٩.

(٣) الدرر الكامنة ٣/ ٤١٠.

(٤) الدرر الكامنة ١/ ١٥٦.

قال ابن رجب ـ رحمه الله ـ: "قال تاج الدين أحمد بن مكتوم القيسي في حق الطوفي: قدم علينا ـ يعني الديار المصرية ـ في زي أهل الفقر، وأقام على ذلك مدة، ثم تقدم عند الحنابلة، وتولى الإعادة في بعض مدارسهم، وصار له ذكر بينهم، وكان يشارك في علوم، ويرجع إلى ذكاء وتحقيق، وسكون نفس، إلا أنه كان قليل النقل والحفظ، وخصوصا للنحو على مشاركة فيه، واشتهر عنه الرفض والوقوع في أبي بكر وابنته عائشة ـ رضي الله عنهما ـ وفي غيرهما من جملة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ وظهر له في هذا المعنى أشعار بخطه، نقلها عنه بعض من كان يصحبه ويظهر موافقة له، منها قوله في قصيدة:

كم بين من شك في خلافته ... وبين من قيل: إنه الله

فرفع أمره ذلك إلى قاضي الحنابلة سعد الدين الحارثي..." اهـ.

قلت: أما تاج الدين أحمد بن مكتوم القيسي فلم أجد له ترجمة ولم أدر أين نقل هذا القول عن الطوفي. ويظهر من النص ـ والله أعلم ـ أنه ليس من الحنابلة.

أما قوله: إن الطوفي قليل النقل والحفظ، وخصوصا للنحو على مشاركة فيه، فإن كتب الطوفي في اللغة والنحو والأدب توضح مكانته فيه. وأسلوبه وألفاظه في هذا الكتاب "الانتصارات..." وحده يكفي في الرد على هذا القول.

وأما قوله إنه وقع في أبي بكر وابنته عائشة وفي بعض الصحابة فلم أجد لذلك مستندا، وقد دلس في نقل ذلك عنه، حيث قال: "وظهر له في هذا المعنى أشعار بخطه، نقلها عنه بعض من كان يصحبه، ويظهر موافقة له" فلم يسم القائل.

ثم لو صح لكان هذا الرجل من أعداء الطوفي الذين وضعوا للتجسس عليه، خاصة وأن الحنابلة ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ امتحنوا في مصر في تلك السنة محنة شديدة ثم إن كلام ابن مكتوم قد نقله ابن حجر بغير هذا اللفظ كما سيأتي قريبا ـ إن شاء الله ـ أما هذا البيت فلا يقول بمضمونه أحد يؤمن بالله ورسوله، وينتسب حقيقة إلى الإسلام الصحيح.

أما قصته مع سعد الدين الحارثي وضربه وسجنه بمصر فقد ذكرت بصيغ متعددة. منها ما ذكره ابن رجب: أنه وُجد بخطه أشعار ظهر منها الرفض والوقوع في أبي بكر وابنته عائشة، ورفع أمره إلى قاضي قضاة الحنابلة سعد الدين الحارثي، وقامت عليه بذلك البينة، فتقدم إلى بعض نوابه بضربه وتعزيره واشهاره، وطيف به ونودي عليه بذلك، وصرف عن جميع ما كان بيده من المدارس، وحبس أياما ثم أطلق فاتجه إلى قوص[1].

ومنها ما قال الصفدي[2]: "كان وقع له بمصر واقعة مع سعد الدين الحارثي وذلك أنه كان يحضر دروسه فيكرمه فيبجله وقرره في أكثر مدارس الحنابلة فتبسط عليه إلى أن كلمه في الدرس بكلام غليظ فقام عليه ولده شمس الدين عبدالرحمن، وفوض أمره لبدر الدين بن الحبال، فشهدوا عليه بالرفض وأخرجوا

---

(١) انظر ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٩.

(٢) خليل بن آيبك بن عبدالله، صلاح الدين الأديب المؤرخ، ولد في صفد في فلسطين وتعلم في دمشق، فعانى صناعة الرسم فمهر بها ثم ولع في الأدب وتراجم الأعيان، تولى ديوان الإنشاء في صفد ومصر وحلب، ثم وكالة بيت المال في دمشق، فتوفي بها سنة أربع وستين وسبعمائة من الهجرة.

(انظر الدرر الكامنة ٢/ ٨٧، وطبقات الشافعية ٦/ ٩٤).

بخطه هجـوا في الشيـخين فعـزر وضـرب، فتـوجه إلى قـوص فنزل عند بعض النصارى وصنف تصنيفـا أنكروا عليه منه ألفاظًا ثم استقام أمـره وأقبل على قراءة الحديث والتصنيف. . . وكان في الشعر الذي نسبوه إليه مما صرح بالرفض قوله:

كم بين من شك في خلافته . . . وبين من قيل: إنه الله[1] اهـ

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: "وقـد قال ابن مكتوم في ترجمته من تاريخ النحـاة: قدم علـينا في زي الفقراء، ثم تقـدم عند الحنابلة فرفع عليـه الحارثي أنه وقع في حق عـائشة فـعـزره وسجنه وصـرف عن جهـاته ثم أطلق فـسافـر إلى قوص"[2] اهـ.

وقال ابن حجر أيضـا: "وقرأت بخط الكمال جعفر: كـان القاضي الحارثي يكرمه ويبـجله ونزله في دروس ثم وقع بينهمـا كلام في الدرس، فقـام عليه ابن القاضي، وفـوضوا أمره إلى بعض النواب فشـهدوا عليه بالرفض فضـرب ثم قدم قوص فصنف تصنيفـا أنكرت عليه فيه ألفاظًا فغيـرها ثم لم نر منه بعد ولا سمعنا عنه شيئًا يشين" [3] اهـ.

ومنها ما قاله صاحب جلاء العينين ص ٣٦-٣٧)[4]: "قيل: وكان مع ذلك كله شيعيا حتى أنه قال في نفسـه: أشعري حنبلي رافضي هذه احدى العبر، حتى أنه صنف كتابا سمـاه "العذاب الواصب على أرواح النواصب" وقد حبس وطيف به لأجل ذلك" اهـ.

---

(١) الدرر الكامنة ٢/ ١٥٤ ـ ١٥٥.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٥٦.

(٣) المصدر نفسه ٢/ ١٥٧. ولم أجد النص في ترجمة الطوفي في الطالع السعيد للكمال.

(٤) انظر كذلك الأعلام ٣/ ١٢٨.

فالرواية الأولى فيها أنه وجد له بعض الأشعار ظهر منها الرفض والوقوع في أبي بكر وابنته عائشة ـ رضي الله عنهما ـ وفي الثانية أن سبب الضرب والحبس تكليمه للقاضي سعد الدين بكلام غليظ، وأنهم شهدوا عليه، وأخرجوا بخطه هجوا في الشيخين وفي الثالثة: أنه وقع في حق عائشة ـ رضي الله عنها ـ وفي الرابعة أنه وقع بينه وبين سعد الدين كلام في الدرس، ففوض ابنه أمر الطوفي إلى بعض النواب فشهدوا عليه بالرفض، وفي الخامسة: أن سبب الحبس والضرب هو كتاب: "العذاب الواصب على أرواح النواصب"، وهذا في نظري يدل على وقوع الخلاف بين القاضي والطوفي ولكن لم يبين السبب الحقيقي ولا يؤمن أن من فوض إليه أمره لفقوا على الطوفي الرفض. ،والله أعلم.

هذا هو الاتهام الذي وجه إلى الطوفي ـ رحمه الله ـ، وما رأيته في ترجمته عند المؤرخين له، ولم يكن لديهم مما يؤيد هذا الاتهام غير ما تقدم، وابن رجب ـ رحمه الله تعالى ـ يرى أن الطوفي مات على عقيدة الرافضة وأنه لم يتحول عنها فهو يقول: "قلت: وقد ذكر بعض شيوخنا عمن حدثه عن آخر: أنه أظهر له التوبة وهو محبوس. وهذا من تقيته ونفاقه"[1] اهـ.

أما بعض المؤرخين له فيميلون إلي أنه رجع عن الرفض فيقول الإمام الذهبي ـ رحمه الله ـ: " ويقال إنه ـ أي الطوفي ـ تاب عن الرفض"[2].

ويقول الكمال جعفر: "فشهدوا عليه بالرفض فضرب فصنف تصنيفا أنكرت عليه فيه ألفاظا فغيرها ثم لم نر منه بعد ولا سمعنا عنه شيئا يشين"[3].

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٩ ـ ٣٧٠.

(٢) الدرر الكامنة ٢/ ١٥٧.

(٣) المصدر السابق.

أما علماء عصرنا هذا وكتابه فهم في اتهام الطوفي على رأيين:

بعضهم: يرى أن الطوفي ـ رحمه الله ـ من الرافضة بل ويصر على ذلك كالشيخ محمد أبي زهرة في كتابه: ابن حنبل" وفي مقدمته لكتاب المصلحة المرسلة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي للدكتور مصطفى أبوزيد.

وبعضهم لا يدينه بالرفض، ففي مساء يوم السبت السادس والعشرين من شهر ذي القعدة من عام ست وأربعمائة وألف للهجرة، سألت فضيلة الشيخ عبد الرزاق عفيفي أحسن الله إليه، في مجلس سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في العزيزية بمكة المكرمة عن اتهام بعض العلماء للطوفي بالرفض فقال: "ماعلمت شيئا يؤكد ذلك" ويقول: "وكان الشيخ محمد بن عبدالعزيز المانع[1] ـ رحمه الله ـ مدير المعارف قبل أن تصير وزارة ـ ينكر على من يرمي الطوفي بأنه شيعي "اهـ.

---

(١) العلامة الحافظ الفقيه محمد بن عبد العزيز بن محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن مانع الوهبي التميمي النجدي ولد في عنيزة بالقصيم سنة ألف وثلاثمائة من الهجرة أدخله والده مدرسة تحفيظ القرآن فاستمر إلى أن حفظه ثم جلس على علماء بلده، ورحل إلى بريدة وأخذ عن علمائها، ولما بلغ الثامنة عشرة رحل إلى بغداد وأخذ عن العلامة محمود شكري الألوسي وغيره من مشاهير علماء بغداد ثم رحل إلى مصر فاقام في الأزهر للعلم مدة، ثم سافر إلى دمشق ولازم الشيخ جمال الدين القاسمي وجلس على علمائها بالجامع الأموي ثم عاد إلى بغداد فبقي بها مدة يأخذ عن علمائها ثم عاد إلى بلده، وأخذ عن العلماء فيها ثم سافر إلى الزبير من اعمال العراق وقرأ على العلماء فيها ثم دعي إلى البحرين لمكافحة التبشير فاقام بها أربع سنين وشرح بها العقيدة السفارينية، ثم دعي إلى قطر للقضاء والخطابة والتدريس، فرحل إليه كثير من طلبة العلم ثم قدم الاحساء ثم الرياض ثم عينه الملك عبد العزيز رحمه الله مدرسا في الحرم المكي وأخذ عنه جماعة من العلماء. ثم عينه الملك عبد العزيز رحمه الله مديرا للمعارف وبهيئة تأديب الموظفين إلى أن شكلت الوزارة. ثم سافر إلى البحرين. . .وتوفي ببيروت على أثر عملية جراحية في رجب سنة ١٣٨٥هـ. ونقل جثمانه إلى قطر ودفن بها.

(انظر ترجمته الوافية في مشاهير علماء نجد ص ٤١١ ـ٤١٧).

والدكتور مصطفى أبوزيد في كتابه المتقدم يرى أيضا أن اتهام الطوفي - رحمه الله - بالرفض غير صحيح. ونقل نصوصا من كتب الطوفي - رحمه الله - يستشهد بها على ماقال، وقد نقلت أكثرها أنا أيضا في أول هذا المبحث.

والحقيقة أنه لم يكن بين يدى ما يؤكد أن الطوفي من الرافضة ولا من الزيدية وأنا لا أنسب إليه ذلك حتى يثبت من كتبه ما يفسر هذا الجرح وقاعدة المحدثين تقول: "إذا ذكر الجرح والتعديل قبل التعديل بدون تفسير، ولا يقبل الجرح إلا مفسرا"، وليس هناك ما يدل قطعا بأن الطوفي من الرافضة، بل يوجد في كتبه ما يشهد له بضد ذلك كما ذكرت سابقا.

ثم إنني أرى أن هذا الاتهام لفق على الطوفي للأمور التالية:

١- أنه لم ينسب إليه الرفض قبل دخول القاهرة، ولاقبل سنة إحدى عشرة وسبعمائة، ومن ما ألفه قبل ذلك كتاب: "الانتصارات الاسلامية..." موضوع البحث والدراسة، ولم يكن فيه ما يدل على ذلك وقد جلس في بغداد وناظر مع أئمة العلماء وفضلائهم، وألف المؤلفات، ثم جلس في حلقات ابن تيمية - رحمه الله - في دمشق وجلس عليه ابن تيمية في العربية أياما، وجلس الطوفي على المزي من علماء الشام، ورد ابن تيميمة على الرافضة وذكر أعيانهم وشيوخهم ولم يذكر أن الطوفي منهم، ولم يذكر أحد من هؤلاء جميعا فيما علمت أن الطوفي على مذهب الرافضة.

٢- أن الطوفي خبير بمذهب الرافضة وأقوالهم لمعايشته لهم في بغداد وظهورهم ومجاهرتهم بمذهبهم، ولو كان على ما هم عليه لأظهر ذلك معهم، خاصة وأن أعيانهم أهل مكانة عند الخلافة العباسية التي كانت تميل إلى آل البيت ويفتخر الخلفاء بأنهم منهم، وقد تقدم الرافضة عندهم حتى أن ابن العلقمي الخبيث

وصل إلى الوزارة، وابن المطهر الحلي كان مقدما عند ملوك التتار، فكيف يهجر الطوفي بغداد بسبب ما فيها من فتن كان للرافضة ضلع كبير فيها ويخفي مذهبه مع سهولة إظهاره، وحرية فكره فيما لو أظهر ذلك.

٣ـ وإذ لم يرد دليل قطعي يؤكد أن الطوفي على مذهب الرافضة فأظن أنه قد دبر له مكيدة، كما دبرت لشيخ الأسلام ابن تيمية في تلك الفترة في مصر، فقد "كتب عليه محضر بأنه قال: أنا أشعري، ثم وجد خطه بما نصه: الذي أعتقد أن القرآن معنى قائم بذات الله، وهو صفه من صفات ذاته القديمة، وهو غير مخلوق، وليس بحرف ولا صوت، وأن قوله الرحمن على العرش استوى ليس على ظاهره، ولا أعلم كنه المراد به، بل لا يعلمه إلا الله، والقول في النزول كالقول في الإستواء، وكتبه أحمد بن تيمية، ثم أشهدوا عليه أنه تاب مما ينافي ذلك مختارا في خامس عشر ربيع الأول سنة ٧٠٧هـ وشهد عليه بذلك جمع جم من العلماء وغيرهم[١]".

فهل ابن تيمية ـ رحمه الله ـ رجع عن مذهب أهل السنة إلى مذهب الأشاعرة حقيقة وهل هذا المحضر الذي وقع عليه جمع غفير من العلماء وغيرهم صحيح أم هي فرية على ابن تيمية ـ رحمه الله ـ، فلماذا لم يكن حال الطوفي ـ رحمه الله ـ في اتهامه بالرفض كحال ابن تيمية في اتهامه بما سبق ؟.

ولقد أوذي الحنابلة الذين يحبون ابن تيمية في القاهرة أيضا حتى كتبوا على بعضهم بأنهم يبغضونه وأنهم ليسوا على عقيدته بل وبعضهم تبرأ منه كما يقال[٢] والطوفي من المغرمين بحب ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ولعله حصل له ما حصل لهم.

---

(١) الدرر الكامنة ١/١٤٨.

(٢) المصدر السابق ١/١٤٧ وما بعدها.

٤ـ أن الرافضة: هم الذين رفضوا إمامة الشيخين، ورفضوا زيدا عندما ترحم عليهما ـ كما سبق ـ بل الثابت أن الطوفي أقر بخلافتهما وترضيته عليهما ولم يثبت أن الطوفي رفض خلافتهما ـ رضي الله عنهما ـ.

٥ـ أن الطوفي على خلاف مذهب الرافضة في أصول الفقه فقد خالفهم في الإجماع ورد عليهم في قولهم بعدم كونه حجة كما في شرح الأربعين ص: ١٨٢. وكذلك هم يرون حجية القياس وهو على خلاف معهم في ذلك. وهم على اختلاف مذاهبهم يرفضون بناء الأحكام على رعاية المصلحة لأنها رأي كالقياس، والدين لا يؤخذ بالرأي. والطوفي على خلاف ذلك كما سيأتي ـ إن شاء الله ـ كما أنه على خلاف مذهبهم الفقهي كما يتضح فيما يأتي في هذا الكتاب من بعض المسائل الفقهية كالمتعة وحكم المذى وإتيان المرأة في الدبر، وغيرها.

٦ـ خالف الطوفي الرافضة والإمامية في مسائل العقيدة كالرؤية كما سترى في هذا الكتاب ص٥٦١ فهم ينكرون الرؤية وهو يثبتها على مذهب أهل السنة والجماعة.

ثم إن الرافضة يرون أن أبا طالب[1] مسلم دخل الإسلام وكتم إيمانه والطوفي

---

(١) أبو طالب عم النبي ﷺ وهو عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم القرشي. أبو علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ كفل النبي ﷺ ورباه بعد جده عبدالمطلب، وكان أبوطالب يحب النبي ﷺ حبا شديدا لا يحبه ولده، وكان لاينام إلا إلى جنبه وخصه بالطعام، وكان إذا أكل أولاده والرسول معهم شبعوا، وإذا لم يكن معهم لم يشبعوا فيقول أبوطالب له: إنك لمبارك، ولما حضرته الوفاة قال له الرسول ﷺ: ( يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله) فقال له: أبو جهل،وابن أبي أمية: يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ وما زال النبي ﷺ يدعوه حتى توفي، ولم يجب، فاستغفر له النبي ﷺ بعد موته فنهاه الله عن ذلك بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾(التوبة: ١١٣) ويدعي الشيعة أنه أسلم وأنه ستر ذلك عن قريش لمصلحة الإسلام، ولقد كذبوا في ذلك. ( انظر طبقات ابن سعد ١/١١٩ ـ ١٢٥ والأعلام ٤/١٦٦).

على خلاف هذا كما سنرى في كتاب الانتصارات .

وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

٧ـ أن عصر الطوفي من أكثر العصور ابتلاء امتحانًا للعلماء، وقد اشتدت بين الطوائف والمذاهب الشحناء والبغضاء، فلو قبل كل ما قيل عن العلماء لما سلم أحد في عقيدته ودينه، وأرى أن الإحتكام في ذلك يكون إلى كتب هؤلاء العلماء، وما قالوه وسجلوه بأنفسهم فمثلا ابن تيمية اتهم بأنه وقع في عمر ـ رضي الله عنه ـ وفي علي ـ رضي الله عنه ـ ونسب إلى الزندقة والتنقص بالنبي ﷺ، وأن عثمان كان يحب المال، وإلى أنه يسعى في الإمامة الكبرى، إلى غير ذلك فهل نأخذ هذا الكلام على إطلاقه من المؤرخين له أم يكون الحكم في ذلك ما سجله بنفسه في هذه الأمور؟ والطوفي لابد أن نعرف عقيدته ومذهبه من خلال كتبه التي تبين لنا رأيه في مسائل الشرع سواء في العقيدة أو الأحكام الشرعية الأصولية أو الفرعية ونعرف أنه أخطأ في عدة مسائل، لأنه بشر وهو يقول عن نفسه في آخر شرح الأربعين:

إن تلق عيبا فلا تعجل بسبك لي * إني امرء لست معصوما من الزلل

ولا شك أن له أخطاء عفا الله عنا وعنه - والله أعلم.

## مذهب الطوفي في الأسماء والصفات:

يتضمن التوحيد باعتبار متعلقه ثلاثة أنواع هى: توحيد الربوبية وبيان أن الله وحده خالق كل شيء. وتوحيد الألوهية: وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له. وتوحيد الأسماء والصفات وهو الإيمان بأسمائه وصفاته التي وردت في كتاب الله العزيز أو على لسان رسله صلى الله عليهم وسلم من غير تكييف أو تمثيل أو تعطيل.

فالنوع الأول لم يذهب إلى نقضيه طائفة من بني آدم، إلا ما عرف من شذوذ المانوية والثنوية أو ضلال النصارى في وحدانية الله أو عناد وتكبر فرعون.

وأما النوع الثاني فهو المقصود بإرسال الرسل وإنزال الكتب، ولا تصلح الحياة والآخرة إلا به.

والنوع الثالث: لم يعرف عن أحد إنكاره، أو شيء منه، إلا ما ذكر عن المشركين في إنكار اسم الرحمن، على سبيل العناد فقط. والإشراك في هذا النوع على ثلاثة أنواع:

١ـ إلحاد المشركين الذين عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه وسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من الإله، والعزى من العزيز... إلخ.

٢ـ إلحاد المشبهة الذين يكيفون صفات الله تعالى ويشبهونها بصفات خلقه، وهو مقابل إلحاد المشركين.

٣ـ إلحاد النفاة المعطلة وهم قسمان:

أـ قسم أثبتوا ألفاظ أسماء الله ونفوا ما تضمنته من صفات الكمال.

ب ـ وقسم صرحوا بنفي أسمائه وصفاته بالكلية ووصفوه بالعدم المحض.

والطوائف في توحيد الأسماء والصفات ثلاثة أقسام:

١ـ قسم عطلوا الله تعالى من أسمائه وصفاته، وهم الجهمية والمتفلسفة.

٢ـ وقسم أثبتوا ألفاظ أسمائه ونفوا صفاته سبحانه، وهم المعتزلة.

٣ـ وقسم أثبتوا أسماءه سبحانه على ما يليق به سبحانه وأثبتوا سبعا من الصفات، وهي الكلام والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة والحياة مع تأويلات لهم أيضا في هذه الصفات السبع. وهؤلاء هم الأشاعرة.

وأما الذين أثبتوا أسماء الله وصفاته التي سمى بها نفسه في كتابه العظيم أو على لسان رسوله الكريم، من غير تأويل ولا تمثيل ولاتشبيه، فهم أهل السنة والجماعة، من السلف الصالح ومن تبعهم إلى يوم الدين.

وقد يشارك أحد أي طائفة من هذه الطوائف بعض مذهبهم دون بعض، فهذا حكمه حكم تلك الطائفة فيما وافقها فيه.

والإمام الطوفي ـ رحمه الله ـ أحد العلماء الذين تكلموا في توحيد الأسماء والصفات وقد ألف في العقيدة الإسلامية كتبا عديدة ذكرت فيما سبق أكثرها فما مذهبه في توحيد الأسماء والصفات من خلال كتبه تلك؟.

لقد تتبعت بعض ما صنفه الطوفي من المصنفات التي ذكرت مسائل عديدة من مسائل التوحيد، وخاصة توحيد الأسماء والصفات، وسأورد نماذج مما قاله في تلك المسائل سواء من كتابه هذا: " الانتصارات الإسلامية" أو من كتبه الأخرى المخطوطة.

تحدث الطوفي في كتابه: حلال العقد في أحكام المعتقد عن الأسماء والصفات فقال في اللوحة الثانية منه: "والنظر في أسمائه وذاته وصفاته وأفعاله.

أما أسماؤه فكثيرة، قال الله عزوجل: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا . . ﴿١٨٠﴾﴾[1] وفي الحديث: «أسألك بكل اسم هو لك علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك»[2] اهـ كلامه.

ثم بين معنى الاسم في اصطلاح النحويين، وفي اصطلاح اللغة، ثم قال: "وأما ذاته عز وجل فهي حقيقة قديمة[3] أزلية، لا تدركها الأفهام، ولا تخيّلها

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٨٠.

(٢) جزء من الحديث الذي أخرج الإمام أحمد في المسند (١/ ٣٩١، ٤٥٢) والحاكم في المستدرك (١/ ٥٠٩)، وقال عنه الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبدالرحمن بن عبدالله عن أبيه فإنه مختلف في سماعه عن أبيه"، وتبعه الذهبي في التلخيص وزاد: "وأبوسلمة لايدرك من هو؟ ولا رواية له في الكتب الستة" اهـ

(٣) قلت: اختلف السلف في إطلاق لفظ "قديم" على ذاته المقدسة فبعضهم كره وصفه جل وعلا بالقدم، لأنه قد يطلق مع سبق العدم، نحو ﴿كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾(يس: ٣٩)، ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ (يوسف: ٩٥)وقالوا لم يرد وصفه بذلك في نصوص الكتاب وما ورد من السنة لا يثبت وإنما الوارد في الكتاب والسنة أنه سبحانه الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء.

وبعض السلف أجاز إطلاق لفظ القديم على الله، ووصفه بذلك، لما أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٧) بسند ضعيف عن أبي هريرة في إحصاء أسماء الله تعالى وعدها فذكر منها "القديم" ولحديث دخول المسجد: «أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم» وأقل ما يقال عنه إنه حسن، (سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد).

ولا ريب أنه إذا كان مستعملا في نفس التقدم - أي بمعنى الأول الذي ليس قبله شيء - فإن ما تقدم على الحوادث كلها أحق بالتقدم من غيره. (انظر شرح الطحاوية ص ١١٥). ولفظ "أزلي" معناه: قديم، ولم يرد في النصوص الشرعية تسمية الله تعالى ولا وصفه بهذا اللفظ فيما أعلم، وإنما هو من ألفاظ أهل الكلام فهم يقولون: إن الأزل عبارة عما لا افتتاح له سواء كان وجوديا كذات الله أو عدميا كأعدام ماسوى الله، لأن العدم السابق على العالم قبل وجوده لا أول له فهو أزلي" (انظر منهج ودراسات لآيات الصفات للشنقيطي ص٨).

الأوهام، كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿ ..لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [1] اهـ.

وقال الطوفي عن الصفات: " وأما صفاته ـ عزوجل ـ فضربان: ذاتية، وهي المعانى القائمة بذاته مقارنة لها في الوجود، وفعلية: وهي الأفعال الصادرة عنه المفارقة له، كالخلق والرزق ونحوه[2]".

قلت: قسم السلف الصفات إلى ذاتية لاتنفك عنه سبحانه كالسمع والبصر، وفعلية: وهي التي تتعلق بمشيئته وقدرته، إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء والمجيء والنزول، ونحوها، وهي أيضا ذاتية إلا أن أثرها يحدث في وقت دون وقت.

وربما تكون الصفة ذاتية فعلية، باعتبارين كالكلام، فإنها صفة ذاتية لاتنفك عنه سبحانه، وفعلية لتعلقها بمشيئته وقدرته يتكلم متى شاء كيف شاء بماشاء.

وقول الطوفي عفا الله عنه عن الذاتية: "مقارنة لها في الوجود" وعن الفعلية: " الصادرة عنه، المفارقة له" يشعر بأن الصفة غير الموصوف، وأنها قائمة بنفسها، لأنها مقارنة للذات، أومفارقة لها. وهذا غير صحيح والأولى التعبير بما عند السلف. وإن كان الطوفي لم يقصد مفارقة الصفات لله تعالى بدليل مايأتي من كلامه عن الصفات. والله أعلم.

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) حلال العقد، اللوحة ٦٠٥ قلت: الصفة لا تفارقه سبحانه إنما الذي يحدث بها مباين له..

وقال الطوفي عن آيات الصفات، وأخبارها في حلال العقد الورقة الثالثة عشرة: "... وذلك أن الناس اختلفوا في آيات الصفات، وأخبارها، نحو: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ (١)، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ (٢)، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾(٣)، وحديث القدم والإصبع(٤) والضحك(٥)... ونحوها، وهي كثيرة.

فمنهم من حملها على ظواهرها المتعارفة، فجسم، ومثل. ومنهم من تأولها على معاني مجملة في الجملة، فرارا من التجسيم، فأبطل وعطل، ومنهم من جعلها ألفاظا مشتركة بين صفات المخلوقين وصفات الله ـ عز وجل ـ حقائق بالنسبة إلى ذاته المقدسة، كالعين المشتركة بين عين الماء وعين الذهب(٦)، فتقول: لي يد حقيقة، ولله ـ عزوجل ـ يد حقيقة، ولا اشتراك بين اليدين إلا في لفظ اليد، أمامدلولها: فيد الله حقيقة لائقة به عزوجل، كما أن لي ذاتا، ولله عزوجل ذاتا، ولا اشتراك إلا في الاسم. وهذا رأي الحنابلة، وجمهور أهل السنة، وهو مذهب جيد صحيح عند من فهمه لاغبار عليه" اهـ.

ثم أتى بعد ذلك برأي يراه جمعا بين الأقوال فيقول: "ويحتمل هذا المقام تفصيلا لا بأس به، وفيه جمع بين المذاهب، وهو أن ألفاظ هذه النصوص لا يخلو

---

(١) سورة المائدة، آية: ٦٤.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٢٧.

(٣) سورة القلم، آية: ٤٢.

(٤) سيأتي تخريج حديثي القدم والإصبع إن شاء الله.

(٥) حديث: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة» أخرجه البخاري في الجهاد باب ٢٨، ومسلم في الإمارة حديث ١٢٨، ١٢٩ وغيرهما.

(٦) القول الصحيح أن لفظ العين يطلق على عين الماء، ويطلق على عين الذهب ولا اشتراك في المعنى لأن عين كل شيء مختصة به.

كل لفظ من أن يكون مقطوعا بإرادة الحقيقة منه، أو بإرادة المجاز فيتبع الدليل القاطع. أو ظاهرا في أحدهما فيتبع الظاهر ما لم يعارضه أظهر منه أو محتملا لهما على السواء، أو قريبا منه فهو مجمل، أوفي حكمه، فيتوقف على البيان، أو يحمل على الأليق بجلال الله ـ عند المعتقد. وهذه الطريق أمثل الطرق ـ إن شاء الله عز وجل ـ وعليها تتخرج جميع الآيات والأحاديث وهي كثيرة" اهـ.

ولعل ما قاله في كتاب الانتصارات الإسلامية، عند كلامه عن حديث التقرب والهرولة يفسر هذا الرأي المتقدم.

يقول ـ رحمه الله ـ: " وهذا الحديث مؤول عندنا على التقرب بالرحمة واللطف، والإكرام، كما يقال: فلان قريب من السلطان، والأمر قريب من فلان، يعني تقارب القلوب والمنزلة، وأنا وان كنت أثريا في آيات الصفات وأخبارها، إلا أن المجاز عندى في هذا الحديث ظاهر غالب، فلا يتوقف في تأويله إلا جامد[1]".

ثم قال بعد أن بين أن أحاديث الصفات منها ما يكون صحيحا أو غير صحيح، أو مختلف فيه، وأنه لا يعول إلا على الصحيح منها: " ثم الحديث المجمع على صحته من حيث دلالة المتن ثلاث طبقات: ما ترجح فيه إرادة الحقيقة، وما ترجح فيه إرادة المجاز، وما استوى فيه الأمران، فالأول كحديث الساق[2]

---

(١) وترجيحه المجاز هنا وتفسيره القرب خلاف الصواب كما سيأتي. انظر ص: ٧٠٣ من هذا البحث.

(٢) أخرج البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (القيامة: ٢٢، ٢٣) من حديث طويل عن أبي سعيد منه: «فيأتيهم الجبار... فيقول أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا، فلا يكلمه إلا الأنبياء، فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها؟ فيقولون الساق. فيكشف عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن...» وأخرجه مسلم في الإيمان حديث ٣٠٢، والدارمي في الرقائق، باب سجود المؤمنين يوم القيامة، وأحمد في المسند (٣/ ١٧) بألفاظ غير لفظ البخاري.

والقدم[1] والأصابع[2] ونحوها فهذه إرادة المجاز فيها مرجوحة فحكمها أن تحمل على حقائق لائقة بالباري ـ جل جلاله ـ ولا يلزمنا تعين كيفيتها كذاته سبحانه، أثبتنا وجودها ـ، ونحن عن تفاصيل أحكامها بمعزل. الثاني كهذا الحديث" اهـ. أى حديث: «من تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»[3].

وذكر حديث: «قلوب الخلق بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء» [4] وحديث: « الحجر الأسود يمين الله في

---

(١) أخرج البخاري في عدة مواضع منها تفسير سورة (ق): "لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول: قط قط" وأخرجه مسلم في كتاب الجنة، حديث ٣٧، والترمذي في كتاب الجنة، باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار، وفي تفسير سورة (ق)، وأحمد في المسند (٢/ ٣٦٩، ٥٠٧)، (٣/ ١٣)، بالفاظ متقاربة.

(٢) سيأتي تخريجه قريبا ـ إن شاء الله ـ.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾(آل عمران: ٢٨) وفي باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، ومسلم في كتاب الذكر، باب فضل الذكر، والدعاء، والتقرب إلى الله تعالى، حديث ٢٠، ٢١، ٢٢، وفي أول كتاب التوبة، والترمذي في كتاب الدعوات باب في حسن الظن بالله، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب فضل العمل وأحمد في المسند (٢/ ٤١٣، ٤٨٠، ٤٨٢، ٥٠٩، ٥٢٤، ٥٣٤)، وفي مواضع أخرى عنده.

(٤) أخرجه مسلم في القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، حديث ١٧ بلفظ "أن قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث شاء"، والترمذي في القدر، باب ما جاء في أن القلوب بين إصبعي الرحمن، وفي الدعوات، باب ٩٠، وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٨-٢٨٩).

الأرض »[1] وحديث: « ساعد الله أشد، وموس الله أحد »[2].

ثم قال: " فإن المجاز فيه راجح، وحكمه التأويل على ما ترجح فيه " اهـ.

ثم ذكر الطبقة الثالثة فقال: "والثالث كقوله: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾[3] فإنه بين الصفة الوجهية اللائقة بمنصب الإلهية، وبين الرتبة الجاهية إلى العظمة الذاتية. فحكم مثل هذا راجع الى ترجيح المجتهد فى أحكام العقائد، فإن غالب مسائلها من هذا وأشباهه: اجتهادية، لكنها أعلى رتبة من مسائل الفروع[4]" اهـ.

قلت: أما قوله ـ رحمه الله ـ في حديث «من تقرب مني. . . تقربت منه» فلا لزوم لتأويله القرب بقرب الرحمة. بل قرب الله من المتقرب إليه بالعمل الصالح: قرب بذاته ورحمته على ما يليق بجلاله، ولاندرك كيفية ذلك ومعلوم أن معنى قرب الله بذاته وهرولته إليه ومشيه ليس بقطع المسافة، ومشابهة المخلوقين

---

(١) رواه الطبراني في معجمه، وابن عدي، وابن خلاد، وغيرهم، وذكره ابن الجوزي في العلل المتناهية (٢/ ٥٧٥-٥٧٦)، وقال: "حديث لا يصح"، والعجلوني في كشف الخفاء (١/ ٤١٧)، وذكر أنه موقوف على ابن عباس، وذكره الألباني في الضعيفة (١/ ٢٥٧)، وبين وجه ضعفه، وأقوال أهل الحديث في سنده، وله شواهد ذكرها المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣١-٣٢)، وسيأتي كلام ابن تيمية عنه إن شاء الله، وذكر بعض ألفاظه.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٧٣)، (٤/ ١٣٧) بأسانيد متعددة حكم على بعضها أحمد البنا في الفتح الرباني (١٤/ ١٧٨)، (١٦/ ٣٠)، وهي بمجموعها تفيد أن الحديث صحيح. ومن ألفاظه عنده: ". . . فقال: إذا أتاك الله مالا فلير عليك، ثم قال: هل تنتج ابل قومك صحاحا آذانها فتعمد إلى موسى فتقطع آذانها. . . قال فإنما آتاك الله عز وجل لك، وساعد الله أشد، وموسى الله أحد وربما قال: ساعد الله أشد من ساعدك، وموسى الله أحد من موساك. . . " الحديث.

(٣) سورة الرحمن، آية: ٢٧.

(٤) انظر ص: ٧٠٤-٧٠٥ من هذا الكتاب. قلت: الحكم لا يكون إلا بالشرع لا باجتهاد المجتهد.

في اقتراب بعضهم من بعض، فهو سبحانه مع قربه لا ينفك عن كمال علوه على كل شيء، ولا يعلو شيء من المخلوقات عليه.

وأما حديث القلوب: « قلوب الخلق بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف شاء ». فليس في ظاهره أن القلب متصل بالأصابع ولا مماس لها، كما أن قول القائل: " هذا بين يدىّ "لا يقتضي مباشرته ليديه. كما أن السحاب بين السماء والأرض وما يقتضي أن يكون مماسا للسماء والأرض. ونظائر هذا كثير[1]. وقد نقل أن الإمام أحمد تأوله عن ظاهره، وأنكر ابن تيمية ذلك، وقال: " فهذه الحكاية كذب على أحمد. . .[2]".

أما حديث « الحجر الأسود يمين الله في الأرض » فإنه موقوف على ابن عباس كما تقدم وأنه لا يصح، والطوفي ـ رحمه الله ـ قد ذكر أنه لا يعول على الأحاديث التي لا تصح.

وعلى فرض صحته فإن في ألفاظه قرائن تصرف معناه من المعنى الظاهر إلى معنى آخر يليق بجلال الله سبحانه، منها قوله: ﴿ في الأرض ﴾ فهذا قيد، ولو كان مطلقا لقال: " يمين الله" فقط، وفي بعض رواياته" فمن صافحه وقبله فكأنما صافح الله وقبل يمينه" والمشبه غير المشبه به وهذا يدل على أنه ليس يمينه حقيقة، فأول الحديث وآخره يبين أنه ليس من صفات الله[3]. فقول الطوفي مقبول على فرض صحة هذا الحديث. والله أعلم.

---

(١) انظر التدمرية: ٧٣.

(٢) الفتاوى ٥/ ٣٩٨.

(٣) انظر فتاوى ابن تيمية ٦/ ٣٩٧-٣٩٨. والتدمرية ص ٧١-٧٢.

أما الحديث الثالث: « ساعد الله أشد . . . » فإن فيه إثبات الساعد لله على ما يليق بجلاله سبحانه، كما أنا أثبتنا له يدان على ما يليق بجلاله سبحانه.

أما ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (٢٧)﴾ فإن معناها ذو العظمة والكبرياء. ففيها إثبات عظمة الله وكبريائه.

وأحسب أن الطوفي ـ رحمه الله ـ لم يقصد تأول الأحاديث السابقة ولا صفة الوجه في الآية بدليل أنه قال في كتاب الإشارات الإلهية، عن قوله تعالى في سورة الزمر: ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ . . . (٦٧) ﴾ [١] فقال عن هذه الصفة وغيرها من صفات الله: " اختلف الناس في آيات الصفات مثل هذه: في القبضة واليمين، ونحو وجه ربك، ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [٢]، ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [٣]، (يضع الجبار قدمه )[٤] «يحمل السموات على إصبع» [٥]، الحديث، ونحو ذلك على أقوال: أحدها: امرارها كما جاءت من

---

(١) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٢) سورة المائدة، آية: ٦٤.

(٣) سورة القلم، آية: ٤٢.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرج البخاري في عدة مواضع من صحيحه منها كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (ص: ٧٥) أن يهوديا جاء إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد إن الله يمسك السماوات على إصبع والأرضين على إصبع والجبال على إصبع، والشجر على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول أنا الملك؟ فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ (الزمر: ٦٧) قال يحيى بن سعيد: وزاد فيه فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله: "فضحك رسول الله ﷺ تعجبا وتصديقا له" قلت: وأخرجه مسلم في صفات المنافقين، حديث ٢١، ٢٢، والترمذي في تفسير سورة الزمر، وأحمد في المسند (١/ ٤٢٩) بألفاظ نحو لفظ البخاري السابق.

غير تكييف، ولا تمثيل. وهو مذهب أهل الحديث. الثاني: حملها على ظاهرها في التشبيه، وصرحوا به، وهو قول المجسمة. ورد بـ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (١) وباستحاله التجسيم على الله. الثالث: حملها على [أنها (٢)] صفات الله ـ عز وجل ـ حقيقة، معولة على صفات المخلوقين بالاشتراك اللفظي، كأنهم قالوا: لله يد هي صفة لائقة به لاتشبه يدنا، ولنا يد، هي هذه الجارحة، مستحيلة في حقه ـ عز وجل ـ وهو محكي عن الظاهرية (٣)، وإليه يرجع المذهب الأول. الرابع: تأويل ما أوهم منها التشبيه، على مايزيل تلك الشناعات مما يحتمله اللفظ في كلام العرب، وهو مذهب الأشعرية ومن وافقهم. الخامس: أن اللفظ إن ظهر منه ارادة الحقيقة، حمل عليها، على المذهب الأول، أو إرادة المجاز حمل عليه كلفظ الجنب(٤)، وقلب المؤمن بين إصبعين، والحجر [الأسود (٥)] يمين الله في الأرض، ونحوه وإن لم يظهر منه أحدهما اجتهد فيه المجتهد في الأصول وقلد فيه المقلد.

---

(١) سورة الشورى، آية: ١١.

(٢) ما بين المعكوفتين زيادة من المحقق لايضاح الكلام.

(٣) طائفة تقول بظاهر الكتاب والسنة، وتعرض عن التأويل والرأي والقياس وهم أتباع داود بن علي ابن خلف الأصبهاني الظاهري المتوفى سنة سبعين ومائتين للهجرة، لأنه أول من جهر بذلك في أصبهان.

[انظر طبقات الشافعية ٢/ ٤٢-٤٨، وسير أعلام النبلاء ١٣/ ٩٧-١٠٨].

(٤) لعله يريد لفظ "الجنب" المذكور في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾[سورة الزمر، آية: ٥٦].

فهذا معناه: أي في جانب حقه، وقيل ما فرطت في طاعة الله. وقيل: ما فرطت في طلب قرب الله وجواره. [انظر فتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٧١، وتفسير السعدي ٦/ ٤٨٦].

(٥) زدت لفظ الأسود ليستقيم المعنى.

والأشبه الأخذ بالمذهب الثالث" اهـ.

ويوضح هذا أيضا ما ذكره في كتاب الانتصارات الإسلامية... عند رده على النصراني في قوله: إن مما روي عن محمد ﷺ من أوصاف الله، ما يدل على تجسيم الله وهو باطل، وذكر أحاديث منها: حديث النزول، والقدم، والساق، ورؤية النبي ﷺ لله تعالى في المنام، قال الطوفي: "وأما الأحاديث التي ذكرت فصحيحة ثابتة..." ثم قال بعد ذلك: "وأما أحاديث النزول والقدم والساق وغيرها من أحاديث الصفات فلطوائف المسلمين فيها ثلاثة أقوال".

وذكر مذهب المجسمة ثم مذهب المعطلة، ثم قال: "والثالث: اعتقاد ما يليق بجلال الله سبحانه منها، مع القطع بتنزيه الله سبحانه عن مشابهة مخلوقاته، أو بعضها، بوجه من الوجوه، اعتمادا على قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ فأول الآية تنزيه، والثاني: اثبات فهو أولى من الإثبات المفضي إلى التمثيل، والتنزيه المفضي إلى التعطيل وهذا هو الذي أقول به" اهـ.

ولنضرب بعض الأمثال على قاعدته المتقدمة في باب الصفات، وهل طبق تلك القاعدة عند حديثه عن كل صفة؟.

يقول عن صفة كلام الله تعالى في حلال العقد اللوحة (١٩): "اختلف الناس في الكلام فقيل حقيقة في اللفظ، وقيل: في المعنى القائم بالنفس، وقيل: فيهما بالاشتراك. والأقوال الثلاثة منقولة عن الأشعري، والمشهور عنه أن كلام الله ـ عز وجل ـ معنى نفساني لا لفظي، وأهل الحديث ومن تابعهم يقولون: هو عبارات مسموعة وحجتهم قوله ـ عز وجل ـ: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (١)

---

(١) سورة التوبة، آية: ٦.

وهم يسمعون كلام الله[1]، ولأن الكلام حقيقة لغوية، وهو عند العرب: عبارة، ،ولهذا جعلوا مادته اسما وفعلا وحرفًا. حجة الآخرين: أنه لو كان عبارة لاستلزم الأدوات والمخارج، ويلزم التجسيم، وأيضا أن المسئلة مشكلة، ونحن نقتصر في اعتقادنا فيها على ما أطلق في الشرع، وهو أن الكتاب كلام الله منزل، والجمهور على أنه غير مخلوق" اهـ.

وقال في موضع آخر: " . . . يبنى هذا على ما مر من أن كلام الله ـ عز وجل ـ قديم أو حادث، ومذهب السنة أنه قديم".

قلت: مذهب أهل السنة أن كلام الله معان وحروف وأصوات مسموعة، وأنه قديم النوع وإن لم يكن الصوت المعين قديما.

وعن العرش والاستواء، يقول الطوفي في كتاب الإشارات، عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [2]: "هذا يحتج به من رأى العرش سريرا، وجرما مستعليا بالجملة، ونفى تفسيره بالملك، أو نحوه مما تأوله نفاة الاستواء، إذ لا يصح أن يقال: وكان ملكه على الماء، وقد جاء في الحديث: يارسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض قال كان في عماء ما تحته هواء، وما فوقه هواء[3] "والعماء ممدود هو الغيم الرقيق" اهـ.

---

(١) قال الله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(البقرة: ٧٥).

(٢) سورة هود، آية: ٧.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في تفسير سورة هود، وقال: "وهذا حديث حسن" وابن ماجه في المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، وأحمد في المسند (٤/ ١١، ١٢).

قلت: هو بهذا يوافق أهل السنة والجماعة. وقد نقل الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ عن أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين المالكي[1] ـ رحمه الله ـ: "ومن قول أهل السنة أن الله ـ عز وجل ـ خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ۝٥﴾[2]... فسبحان من بعد وقرب بعلمه، فسمع النجوى"[3] وذكر الحديث السابق.

وقد ذكر مذاهب الناس في الاستواء في الإشارات الإلهية عند تفسيره لقوله تعالى في سورة الأعراف (٥٤): ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾، لا يسمح المقام بنقله لطوله، وواضح من كلامه هناك أن الاستواء من صفات الله الفعلية على ما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى.

وقال عن صفة العلو، عند كلامه عن قوله تعالى في سورة البقرة (١٤٤): ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ...﴾: "يحتج بها من يرى أن الله ـ عزوجل ـ في جهة السماء من وجهين: أحدهما: أن النبي ﷺ كان يتوقع تحويل القبلة، ويترقب ذلك من جهة السماء، والأحكام إنما تأتي من عند الله ـ عز وجل ـ فدل على أنه ـ عليه السلام ـ كان يعتقد أنه ـ عز وجل ـ في جهة السماء، ينتظر الوحي من عند الله ثم لم ينكر عليه، ولم يقل له: لست في السماء فماذا تطلب في جهتها بل أقره

---

(١) محمد بن عبدالله بن عيسى بن أبي زمنين المري البيري الغرناطي، كان من كبار المحدثين، والعلماء الراسخين، ومتفننا في العلم والآداب، فهو أصولي مفسر أديب شاعر، من تصانيفه مختصر المدونة، وأصول السنة، وغيرهما. توفي بالبيرة في ربيع الآخر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة للهجرة. [انظر الديباج المذهب ٢/ ٢٣٢-٢٣٣، وشذرات الذهب ٣/ ١٥٦].

(٢) سورة طه، آية: ٥.

(٣) فتاوى ابن تيمية ٥/ ٥٤-٥٥.

على ذلك فصار في المسألة اعتقاد النبي ﷺ، وإقرار الله ـ عزوجل ـ له على ذلك، وناهيك به حجة" اهـ.

وقال عن القرب والمعية في تفسير سورة ق، عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)﴾ [١]: " وهذا القرب عند المفسرين: بالعلم نحو: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [٢] و ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [٣]، وعند الحلولية: هو قرب بالذات، لأن الرب جل جلاله حال في خلقه عندهم، تعالى الله عما يقول الظالمون" اهـ.

قلت: قد أنكر ابن كثير [٤] ـ رحمه الله ـ تأول هذا القرب بالعلم، وقال: إنما هو قرب الملائكة.

وقال ابن تيمية: "فقوله ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (١٦)﴾: هو قرب ذوات الملائكة، وقرب علم الله منه[٥].

وقال الطوفي عن المعية أيضا في كتاب الإشارات الإلهية عن قوله تعالى:

---

(١) سورة ق، آية: ١٦.

(٢) سورة الحديد، آية: ٤.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٧.

(٤) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي، ثم الدمشقي، أبوالفداء، عماد الدين. المفسر المؤرخ، الحافظ، الفقيه، رحل في طلب العلم، وتناقل الناس تصانيفه في حياته، توفي سنة ٧٧٤هـ في دمشق. [انظر الدرر الكامنة ١/ ٣٧٣-٣٧٤، والأعلام للزركلي ١/ ٣٢٠].

(٥) فتاوى ابن تيمية ٥/ ٢٣٦.

﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ...﴾ [1]: "أي بالنصرة والإعانة "اهـ.

وقال عن رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة: "لاخلاف في أن الله ـ عزوجل ـ لايرى في الدنيا، مع جواز رؤيته فيها عندنا. وزعم بعض المتصوفة أنهم يرونه ـ عزوجل ـ في الدنيا، ورد عليهم بقوله ـ عزوجل ـ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ [2] وبقوله عليه السلام: « واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» [3] أما في الآخرة فالجمهور أنه يراه المؤمنون أهل السعادة، وقالت المعتزلة: لا يرونه ولا تجوز رؤيته". حجة الأولين قوله ـ عزوجل ـ في الكفار: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [4]، دل على أن المؤمنين لا يحجبون عنه، فهم يرونه. وقوله ـ عز وجل ـ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [5] وردت السنة بأن الزيادة الرؤية[6]، وأحاديث الرؤية صحيحة صريحة كقوله ـ عليه السلام ـ:« إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته. . . .» [7]، وهذا المعنى يكاد أن يكون

---

(١) سورة المائدة، آية: ١٢.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

(٣) جزء من حديث أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب فتنة الدجال وخروج عيسى. . . (٣٣)، وأحمد في المسند (٥/ ٣٢٤)، وقال البنا في تخريجه: "أخرجه أبو داود، قال المنذري: وأخرجه النسائي، وفي إسناده: بقية بن الوليد وفيه مقال" اهـ. [الفتح الرباني ٢٤/ ٨٠]. قلت: وسند ابن ماجه فيه ضعيف وهو إسماعيل بن رافع وأرسله أبوزرعة عن أبي أمامة.

(٤) سورة المطففين: ١٥.

(٥) سورة يونس: ٢٦.

(٦) أخرجه مسلم في الإيمان، باب رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى، حديث ٢٩٧, ٢٩٨، والترمذي في كتاب الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى، وفي تفسير سورة يونس، وأحمد في المسند (٤/ ٣٣٢، ٣٣٣)، (٦/ ١٦).

(٧) أخرجه البخاري في عدة مواضع منها: المواقيت، باب فضل صلاة العصر، وأبوداود في السنة، باب في الرؤية وغيرها.

متواترا. حجة المعتزلة قوله ـ عزوجل ـ: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ وذلك يقتضي نفي الرؤية على الاطلاق. وأجيب بأنه محمول على الدنيا. سلمناه لكنه إنما نفي الادراك، وهو الإحاطة لا الرؤية، واحتجوا بأنه لو رؤي لكان مقابلا في جهة. وأجيب: أما المقابلة فلا يلزم، لأنه يرى خلقه ولا نقابله عندكم، فجاز أن يراه خلقه ولا يقابلهم، وأما الجهة فأهل السنة يلتزمونها أو بعضهم" اهـ.

قلت: الطوفي ـ رحمه الله ـ متردد في القول بالجهة على المعنى الصحيح، والله سبحانه وتعالى يراه المؤمنون فوقهم يوم القيامة، ولا يلزم من ذلك أن يكون سبحانه وتعالى حالا في شيء من مخلوقاته كما يتوهم الأشاعرة وغيرهم.

وأما القدر فقد ألف فيه بعض المصنفات وتعرض له في هذا الكتاب "الانتصارات الإسلامية..." فقال: "أما الآيات والأحاديث فصحيحة، ونحن نقول بها على وجه نقرره" اهـ.

وبعد تقريره ذلك، وذكره أقسام الناس في القدر قال: "وفرقة توسطت الطرفين المنحرفين، وقالت بمقتضى القسمين، فنسبوا الأفعال إلى الله إرادة وخلقا، وإلى العباد اجتراحا وكسبا، وفسروا الكسب بأنه أثر القدرة القديمة في محل القدرة الحادثة، وساعدهم على ذلك ظواهر نصوص الكتاب والسنة من الطرفين "اهـ.

قلت: وهذا مذهب بعض أتباع الأئمة الأربعة، ومذهب الأشعرية في الكسب كما ذكر ذلك ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في منهاج السنة (١/ ٣٥٨ ـ ٣٦٠).

وأخيرا فإنه يتبين لنا من أقوال الطوفي ـ رحمه الله ـ السابقة، أن كثيرا من العلماء ـ رحمهم الله ـ أكثروا من الخوض والتعمق في البحث في آيات الصفات وأحاديثها، وكثرة الأسئلة في ذلك الموضوع. وهذا من البدع المكروهة، ولكنهم

فعلوا ذلك للرد على أهل المقالات الفاسدة.

ثم إن الطوفي ـ رحمه الله ـ يوافق أهل السنة والجماعة في أغلب مسائل العقيدة، وآيات الصفات وإن كان يميل إلى مذهب الأشاعرة في بعض المسائل كما عرفنا من كلامه السابق، وكما يعرف ذلك المتتبع لكتب الطوفي ـ رحمه الله ـ في العقيدة أو في غيرها من العلوم الشرعية.

عفا الله عنه وعن العلماء السابقين واللاحقين، وعصمنا الله وإخواننا من الخطأ والزلل، إنه أرحم الراحمين، وخير التوابين.

والله الموفق.

## مذهب الطوفي في المصلحة المرسلة:

المصلحة في اللغة: بمعنى المنفعة، وهي ضد المفسدة، مأخوذة من الصلاح ضد الفساد، وجمعها مصالح. يقال: رأى الإمام المصلحة في كذا، أي مما يحمل على الصلاح[1].

وهي عند الأصوليين: المحافظة على مقصود الشرع بدفع المفاسد عن الخلق[2]، أو هي: "جلب المنفعة ودفع المضرة[3]" ويعرفها الطوفي بقوله: "اتباع المصلحة المرسلة كأن الشرع أو المجتهد يطلب صلاح المكلفين باتباع المصلحة المذكورة ومراعاتها[4]".

والمصلحة المرسلة، أو الاستصلاح ثلاثة أقسام:

١ـ قسم اعتبره الشرع، وهو اقتباس الحكم من معقول النص، أوالاجماع. فهذا هو القياس الذي هو حمل فرع على أصل في حكم بجامع بينهما.

ومثاله: تحريم النبيذ المسكر من تحريم الخمر المنصوص عليه بالكتاب والسنة.

٢ـ وقسم شهد الشرع ببطلانه كايجاب الصوم بالجماع في نهار رمضان.

٣ـ وقسم لم يشهد له الشرع ببطلان ولا باعتبار معين. وهو ثلاثة أضرب:

---

(١) انظر القاموس المحيط ١/ ٢٧٧، ولسان العرب ٢/ ٥١٧.

(٢) المصلحة المرسلة ونجم الدين الطوفي ص ٢٠.

(٣) روضة الناظر بتحقيق د. عبدالعزيز السعيد ص: ١٦٩. وشرح الروضة للطوفي ٢/ ٤٣٩خ.

(٤) شرح روضة الناظر للطوفي جـ ٢ص ٤٣٩ مخطوط.

أ- الأول مثل: أن يتسلط الولي على تزويج وليته الصغيرة لئلا يفوت الكفء، واستقبالا للصلاح المنتظر، ويسمى حاجيا.

ب - الثاني مثل: اعتبار الولي في النكاح صيانة للمرأة عن مباشرة العقد لكونه مشعرا بتوقان نفسها إلى الرجال، فلا يليق بالمروءة ففوض إلى الولي حملاً للناس على أحسن المناهج. ويسمى: تحسينيا. ولا يصح التمسك بمجرد هذا الضرب والذي قبله من غير أصل.

جـ - الثالث مثل: أن يحفظ على الناس دينهم بقتل المرتد الداعى إلى الردة، وعقوبة المبتدع الداعي إلى البدع، صيانة لدين الناس. والقصاص لحفظ النفوس، وحد شارب الخمر لحفظ العقول، وحد الزاني لحفظ النسل والأنساب، وحد السارق لحفظ الأموال، ويسمى ضروريا[1].

هذه هي أقسام المصلحة في مذهب الطوفي وغيره من علماء الإسلام فما موقفه منها؟

ج: ١- لم يخالف الطوفي بقية العلماء في حكم القسم الأول. وما نقلته عن هذا القسم هو مضمون قوله في شرح الروضة[2].

٢- يقول عن القسم الثالث: " لا يجوز للمجتهد أنه كلما لاح له مصلحة تحسينية أو حاجية اعتبرها ورتب عليها الأحكام حتى يجد لاعتبارها شاهدا من

---

(١) انظر شرح الروضة للطوفي "مخطوط" ٢/ ٤٤٠، وروضة الناظرص٦٩-١٧٠ والمختصر في أصول الفقة لابن اللحام ص١٦٢- ١٦٣، والمدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص:٢٩٣.

(٢) انظر شرح الروضة ٢/ ٤٤٠ "مخطوط".

جنسها، ولو لم يعتبر للتمسك بهذه المصلحة وجود أصل يشهد لها للزم منه محذورات: أحدها: أن ذلك يكون وضعا للشرع بالرأي لأن حكم الشرع هو استفيد من دليل شرعي: إجماع أو نص أو معقول نص، وهذه المصلحة لاتستند إلى شيء من ذلك فيكون رأيا مجردا. الثاني: لو جاز ذلك لاستوى العالم والعامي لأن كل واحد يعرف مصلحة نفسه الواقعة موقع التحسين أو الحاجة، وإنما الفرق بين العالم والعامي معرفة أدلة الشرع واستخراج الأحكام منها. الثالث: لو جاز ذلك لاستغني عن الرسل وصار الناس براهمة لنحو ذلك. فإنهم قالوا: لا حاجة لنا إلى الرسل لأن العقل كاف لنا في التأديب ومعرفة الأحكام إذ ما حسنه العقل أتيناه وما قبحه اجتنبناه. وما لم يقض فيه بحسن ولا قبح فعلنا منه الضروري وتركنا الباقي، احتياطا. فالتمسك بهذين الضربين من المصالح من غير شاهد لهما بالاعتبار يؤدي إلى مثل ذلك، ونحوه فيكون باطلا" اهـ.

يتضح مما سبق أن المصلحة منها ما هو قياس لا خلاف فيه ومنها ما هو باطل لا يجوز جعله من أدلة التشريع ومنها ما هو متروك لاجتهاد المجتهد لأن الشرع لم يشهد باعتباره أو بطلانه. وهو ما كان تحسينيا أو حاجيا أو ضروريا وتبين لنا أن التحسيني والحاجي لا يصح التمسك بمجردهما من غير شاهد لهما من الشرع. أما ماكان ضروريا فقد اختلف فيه العلماء وقد نقل لنا هذا الاختلاف الإمام الطوفي في شرح الروضة (٢/ ٤٤٢) فهو يقول: "فهذه المصلحة الضرورية قال مالك، وبعض الشافعية هي حجة، لأنا علمنا أنها من مقاصد الشرع بأدلة كثيرة لاحصر لها من الكتاب والسنة، وقرائن الأحوال،

والأمارات، وسموها مصلحة مرسلة، ولم يسموها قياسيا لأن القياس يرجع إلى معين دون هذه المصلحة فإنها لاترجع إلى أصل معين، بل رأينا الشارع اعتبرها في مواضع من الشريعة فاعتبرناها حيث وجدت لعلمنا أن جنسها مقصود له" اهـ.

ثم أشار إلى قول الحنابلة في هذه المصلحة "الضرورية" فقال: "وقال بعض أصحابنا: ليست حجة. هذا إشارة إلى الشيخ أبي محمد[1]، قال في الروضة: "والصحيح أن ذلك ليس بحجة" وإنما قلت: قال بعض أصحابنا، ولم أقل قال أصحابنا، لأني رأيت من وقفت على كلامه منهم -حتى الشيخ أبا محمد- في كتبه إذا استعرضوا في توجيه الأحكام يتمسكون بمناسبات مصلحية يكاد الشخص يجزم أنها ليست مرادة للشارع... فلم أقدم على الجزم على جميعهم بعدم القول بهذه المصلحة، خشية أن يكون بعضهم قد قال بها، فيكون ذلك تقولا عليهم[2]" اهـ.

ثم بين بعد ذلك من قال: إنها ليست حجة، ورد على من قال: إن مالكا أجاز قتل ثلث الخلق لاستصلاح الثلثين فقال: "قلت: لم أجد هذا منقولا فيما وقفت عليه من كتب المالكية، وسألت عنه جماعة من فضلائهم فقالوا: لانعرفه.

---

(١) موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام ينتهي نسبة الى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، فهو العدوي القرشي نسباً، والجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الصالحي موطنا. من أشهر مؤلفاته المغني شرح مسائل الخرقي، وروضة الناظر. توفي - رحمه الله - سنة عشرين وستمائة للهجرة. (انظر ترجمته الوافية في كتاب ابن قدامة وآثاره الأصولية ص٧٩-١٤٣).

(٢) شرح الروضة للطوفي ٢/ ٤٤٣" مخطوط".

قلت: مع أنه إذا دعت الضرورة إليه ضرورة: متجه جدا، وقد حكاه عن مالك جماعة[1]" اهـ

ولكن بعد هذا رجح المصلحة فقال: "قلت: الراجح المختار اعتبار المصلحة المرسلة"[2] اهـ.

ثم أيد ترجيحه هذا بقول الغزالي[3]، ورد المتفق على إلغائها ثم قال: "والمصلحة المرسلة إنما هو اجتهادي، فلو اعتبرنا المصلحة المنصوص على عدم اعتبارها، لكان رفعا للنص بالاجتهاد، وهو فاسد الاعتبار[4]" اهـ.

٣- أما القسم الثاني وهو ما شهد الشرع ببطلانه، فهو موطن الخلاف بينه وبين بقية العلماء.

يقول في شرح الروضة (٢/ ٤٤٠): "القسم الثاني: ما شهد الشرع ببطلانه من المصالح: أي لم يعتبره، كقول من يقول: أن الموسر ـ كالملك ونحوه ـ يتعين

---

(١) شرح الروضة للطوفي ٢/ ٤٤٣ "مخطوط".

(٢) المصدر السابق.

(٣) محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي ـ بالتخفيف نسبة إلى غزالة من قرى طوس، وبالتشديد إلى صناعة الغزل، وكلاهما صحيح ـ فيلسوف متصوف، مولود سنة خمسين وأربعمائة، اشتهر بالوعظ والزهد والورع، له نحو مائتي مصنف منها: إحياء علوم الدين، وتهافت الفلاسفة، والاقتصاد في الاعتقاد، والرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل. توفي سنة خمس وخمسمائة من الهجرة.

( انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٤/ ١٠١، وتبيين كذب المفتري ص: ٢٩١، وشذرات الذهب ٤/ ١٠ ).

(٤) شرح الروضة للطوفي ٢/ ٤٤٤ "مخطوط".

عليه الصوم في كفارة الوطء في رمضان، ولا يخير بينه وبين العتق والإطعام. لكثرة ماله، فيسهل عليه أن يعتق رقابا في قضاء شهوته، وقد لايسهل عليه صوم ساعة، فيكون الصوم أزجر له، فيتعين. فهذا وأمثاله ملغى غير معتبر، لأنه يعتبر للشرع بالرأي وهو غير جائز، ولو أراد الشرع ذلك لبينه أو نبه عليه في حديث الأعرابي[1] وغيره، اذ تأخير البيان وقت الحاجة، وإيهام التسوية بين الأشخاص في الأحكام مع افتراقهم فيها لا يجوز" اهـ.

وليت الطوفي بقي علي هذا في المصلحة المرسلة ليكون موافقا لما ذهب إليه الأصوليون فيها، لكنه رجع فأفسد التقسيم السابق للمصلحة فقال: "قلت: اعلم أن هؤلاء الذين قسموا المصلحة إلى معتبرة وملغاة ومرسلة، وضرورية وغير ضرورية، تعسفوا وتكلفوا، إذ الطريق إلى معرفة حكم المصالح أعم من هذا وأقرب، وذلك بأن نقول: قد ثبت مراعاة الشارع للمصلحة والمفسدة إجماعا، وحينئذ فنقول: الفعل إن تضمن مصلحة مجردة حصلناها وإن تضمن مفسدة مجردة نفيناها، وإن تضمن مصلحة من وجه ومفسدة من وجه: فإن استوى في نظرنا تحصيل المصلحة ودفع المفسدة توقفنا على المرجح، أو خيرنا بينهما كما قيل فيمن لم يجد من السترة إلا ما يكفى أحد فرجيه فقط، هل يستر الدبر لأنه مكشوفا أفحش، أو القبل، لاستقباله به القبلة أو يتخير لتعارض المصلحتين

---

(١) انظر البخاري عدة مواضع منها: كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان، . .(٣٠)، وصحيح مسلم، كتاب الصوم حديث(٢٨)، وسنن أبي داود كتاب، باب ماجاء في كفارة الفطر في رمضان، وسنن ابن ماجه، كتاب الصوم، باب ماجاء في كفارة من أفطر يوما من رمضان، ومسند أحمد (٢/ ٣٤١)، (٦/ ٢٧٦).

والمفسدتين وإن لم يستو ذلك، بل ترجح إما تحصيل المصلحة، وإما دفع المفسدة فعلناه، لأن العمل بالراجح متعين شرعا وعلى هذه القاعدة يتخرج كل ما ذكروه في تفصيلهم المصلحة[1]" اهـ.

ثم فصل هذا الرأي وذكر أن المعتبرة كالقياس. . . وأن الملغاة عند سائر الأصوليين لاتلغى على الإطلاق إنما قد يجتهد في تحصيلها، وليس ذلك من باب وضع الشرع بالرأي، بل هو من باب الاجتهاد بحسب المصلحة، أو من تخصيص العام المستفاد من ترك الاستفصال في الدليل، كما في حديث الأعرابي في كفارة الوطء في نهار رمضان، فالطوفي يرى أنه عام فيخص بالاجتهاد المصلحي المناسب بحيث أن الملك الموسر الذي يملك رقابا كثيرة قد تجعله يجامع في كل يوم ويعتق رقبة، فإذا اجتهد مجتهد في عدم تخيير هذا الملك وإلزامه بالصيام، فإن هذا إجتهاد مصلحي كما تقدم.

ويرى أن المصلحة الواقعة موقع التحسين أو الحاجة كما في الأمثلة المتقدمة: مصلحة محضة لا يعارضها مفسدة فكان تحصيلها متعينا.

أما الضرورية كحفظ الدين والعقل والمال والنسب والعرض والنفس فهي وإن عارضتها مفسدة وهي الإتلاف بالقتل أو القطع أو الإيلام بالضرب، ونفي هذه المفسدة مرجوح بالنسبة إلى تحصيل تلك المصلحة فكان تحصيلها متعينا.

وعلى هذا يرى أنه لا حاجة إلى التقسيم والتنويع للمصلحة.

---

(١) مخطوط شرح الطوفي على مختصره للروضة جـ ٢ص ٤٤٥ـ٤٤٦.

ومن كلامه السابق يتضح لنا أنه خالف الأصوليين في تقسيم المصلحة إلى معتبرة وملغاة وغير شاهد لها الشرع ببطلان أو اعتبار، بل ويتضح أيضا تقديمه للمصلحة على النص على وجه التخصيص بالاجتهاد المصلحي كما ذكر في حديث الأعرابي في كفارة الوطء في نهار رمضان، غير أن مذهبه هذا يظهر جليا في كتابه شرح الأربعين عندما شرح حديث: «لاضرر ولاضرار» فهو يقول بعد أن ذكر أدلة الشرع: "وهذه الأدلة التسعة عشر[1]، أقواها النص والإجماع، ثم هما إما أن يوافقا رعاية المصلحة، أو يخالفاها، فإن وافقاها فبها ونعمت، ولا نزاع، إذ قد اتفقت الأدلة الثلاثة على الحكم، وهي النص والإجماع ورعاية المصلحة المستفادة من قوله ـ عليه السلام ـ: (لاضرر ولاضرار) وإن خالفاها وجب تقديم رعاية المصلحة عليها بطريق التخصيص والبيان لهما، لا بطريق الافتيات عليهما والتعطيل لهما كما تقدم السنة على القرآن بطريق البيان" اهـ.

ثم قرر ماذهب إليه بقوله بعد ذلك: "وتقرير ذلك: أن النص والإجماع إما أن لايقتضيا ضررًا ولا مفسدة بالكلية، أو يقتضيا ذلك، فإن لم يقتضيا شيئا من ذلك فهما موافقان لرعاية المصلحة، وإن اقتضيا ضررا فإما أن يكون الضرر مجموع مدلوليهما أو بعضه، فإن كان مجموع مدلوليهما، فلابد أن يكون من

---

(١) وهي كما قال: الكتاب والسنة والإجماع، وإجماع أهل المدينة، والقياس، وقول الصحابي والمصلحة المرسلة، والاستصحاب، والبراءة الأصلية، والعوائد والاستقراء وسد الذرائع، والاستدلال، والاستحسان، والأخذ بالأخف، والعصمة، وإجماع أهل الكوفة، وإجماع العترة، وإجماع الخلفاء الأربعة. قال بعد ذكرها "بعضها متفق عليه وبعضها مختلف فيه" اهـ (شرح الحديث ضمن كتاب المصلحة المرسلة ونجم الدين... ص١٧).

قبيل ما استثني من قوله عليه السلام «لا ضرر ولا ضرار» وذلك كالحدود، والعقوبات على الجنايات وإن كان الضرر بعض مدلوليهما فإن اقتضاه دليل خاص اتبع الدليل. وإن لم يقتضه دليل خاص وجب تخصيصهما بقوله ـ عليه السلام ـ «لاضرر ولاضرار» جمعا بين الأدلة[1]" اهـ.

ولقد أطال الطوفي عفا الله عنه في الانتصار لمذهبه هذا، ولايسمح المقام بنقل ذلك هنا غير أنه ظهر من كلامه الأمور التالية:

١ـ أنه يرجح رعاية المصالح في العادات والمعاملات ونحوها دون العبادات والمقدرات فإنها حق الشرع، ولا يعرف كيفية إيقاعها إلا من جهته نصا وإجماعا[2].

٢ـ أن تقديمه رعاية المصالح في العادات والمعاملات علي النص الظني المحتمل الدلالة لا صريح الدلالة على الحكم بوجه[3].

٣ـ أن تقديم الطوفي لرعاية المصالح على باقي الأدلة من مسائل الاجتهاد المصلحي على أقل أحواله، وإلا فهو يرى أنها راجحة تعينا[4].

ومذهبه هذا في المصلحة المرسلة مرجوح غير منضبط ولا نسلمه له رغم أن الأصوليين قبل هذا لم يذكروا فيما أعلم مذهب الطوفي بالنقد والمناقشة وإنما كان

---

(١) ملحق المصلحة المرسلة ونجم الدين الطوفي ص١٧-١٨.

(٢) المصدر السابق ص ٢٠ـ٢١ـ، ٤٣ وما بعدها.

(٣) انظر ملحق المصلحة المرسلة ونجم الدين الطوفي ص ٣٠ـ ٣١.

(٤) المصدر السابق ص ٤٠.

ذلك من علماء عصرنا الحاضر وكان أولهم جمال الدين القاسمي[1] رحمه الله.

والله الموفق.

## خبر الآحاد:

يقسم بعض العلماء الحديث المسند إلى ثلاثة أقسام: متواتر ومستفيض أو مشهور، وخبر واحد[2].

وبعضهم يقسمه إلى قسمين: متواتر وآحاد، والآحاد يشتمل على المستفيض والمشهور وخبر الواحد[3].

فالمتواتر: ما يرويه قوم لايحصى عددهم ولا يتوهم تواطؤهم على الكذب لكثرتهم وعدالتهم، وتباين أماكنهم[4].

وينقسم إلى متواتر لفظا ومعنى ومتواتر معنى دون اللفظ[5].

وهو يفيد العمل والعلم معا عند المحدثين والأصوليين.

أما الآحاد: فهو في اللغة: جمع أحد بمعنى الواحد. وهو* ماعدا

---

(١) المصدر نفسه ص ٢ - ٣.

(٢) انظر المغني في أصول الفقه ص ١٩١ ـ ١٩٤.

(٣) انظر الحديث النبوي ص ١٨٢، ونزهة النظر ص ١٩، وروضة الناظر ص ٢١.

(٤) المغني في أصول الفقة ص ١٩١ ـ ١٩٢.

(٥) انظر تيسير مصطلح الحديث ص ١٩، ٢٠.

المتواتر[1]* أو هو: * مالم يجمع شروط المتواتر[2]* .

ومنه:

**١ـ المشهور: أوالمستفيض:**

وهو عند الأصوليين: * ماكان من الآحاد في الأصل ثم انتشر فصار ينقله قوم لايتصور تواطؤهم على الكذب. . .[3]*

ويجعله بعضهم قسما من المتواتر[4].

ومنهم من يجعل المستفيض قسما مستقلا أعلى من المشهور ودون المتواتر[5].

**٢ـ خبر الواحد:**

وهو عند المحدثين: مالم يجمع شروط المتواتر[6]. ويدخل فيه على هذا التعريف: المشهور والمستفيض، وهو عند الأصوليين: * الذي يرويه الواحد أو الاثنان فصاعدا بعد أن يكون دون المشهور والمتواتر[7]* .

---

(١) روضة الناظر ص٩٩.

(٢) نزهة النظر ص ٢٦، وتيسير مصطلح الحديث ص٢١.

(٣) المغني في أصول الفقه ص : ١٩٢.

(٤) انظر المغني في أصول الفقه ص ١٩٢.

(٥) انظر نزهة النظر ص ٢٣، ٢٤، والحديث النبوي ص١٨٨.

(٦) الحديث النبوي ص١٢٩، وتيسير مصطلح الحديث ص٢١.

(٧) المغني في أصول الفقه ص ١٩٤.

واختلف في حكم خبر الآحاد المشهور والمستفيض وخبر الواحد فقال بعض الأصوليين: إنه يفيد الظن، أو العلم الظني، فيجب العمل به دون العلم.

وقال آخرون: إنه يفيد العلم اليقيني ويوجب العمل[1].

وقد نشأ هذا الاختلاف بعد ابتداع التقسيمات المتقدمة للحديث النبوي والحقيقة أن هذه التقسيمات لاتنضبط، لأن المحدثين والأصوليين مختلفون في عدد التواتر من أربعة إلى ثلاثمائة وستة عشر، وفي عدد المستفيض والمشهور أيضا تبعا للاختلاف في عدد التواتر، ولذا فلو اكتفى المحدثون والأصوليون بالبحث عن صحة الحديث إسناداً ومتنا، فما كان صحيحا، قبل، وكان أصلا من أصول شرعنا، لأنه لامجال في التشكيك فيه بعد ذلك، فالخبر الذي تلقته الأمة بالقبول تصديقا له وعملا بموجبه يفيد العلم عند جماهير السلف والخلف، لأن العلم الضروري يحصل: بكثرة المخبرين أو بضبط الرواة، ودينهم، أو بالقرائن التي تحف بالخبر، أو بمجموعها[2].

وعلى فرض صحة هذا التقسيم وعلمنا بأن لاشتهار الحديث وكثرة رواته والناقلين له مع صحته ميزة كبيرة قد لاتحصل لحديث صحيح آخر لم تكن طرقه أوعدد رواته والناقلين له كسابقه: فإنني أتحدث هنا عن حجية خبر الآحاد عند

---

(١) انظر المغني في أصول الفقه ص ١٩٤، وما بعدها، وهامش (ب) من ص١٩٤. وفتاوى ابن تيمية ١٨/٤٨-٥٤. وروضة الناظر ص ٩٩ وما بعدها.

(٢) انظر فتاوى ابن تيمية ١٨/٤٨-٥١.

الطوفي ـ رحمه الله ـ، وهو الغرض من هذا المبحث:

يقول الطوفي في كتاب الانتصارات "هذا" ص٢٤٢-٢٤٣: " ولاتثبت أصول الشريعة إلا بقاطع كالبديهيات والفطريات، والمتواتوات ونحوها. . .وفائدة هذه المقدمة: أن يستند إليها في أن كل ما أورده علينا من الأخبار التي حقها أن لاتثبت بمثلها الأصول، لاترد علينا ولاتلزمنا، لأن تلك أخبار توجب العمل دون العلم لكونها مظنونة الثبوت، وإن كانت في البخاري ومسلم لاحتمال وقوع علة قادحة في طريقها، فلا تقوى على إثبات أصل، ولاعلى أن يقدح بها في أصل، خصوصا وقد دخلها تصرف الرواة في الرواية بالمعنى. . . ".

وليس هذا وحده هو كلام الطوفي ـ عفا الله عنه ـ فهو يقول في موضع آخر ص (٣٦٩): "وخبر الآحاد إنما يفيد ظنا ضعيفا" وقال ص: ٢٤٠ عن الآحاد: "هذا ممكن أخبر به الصادق، وكل ممكن أخبر به الصادق فهو حق واقع" اهـ.

وقد بين ـ رحمه الله ـ ص(٤٤٨) أن أحاديث الصفات الصحيحة يجب الإيمان بها على مايليق بجلال الله تعالى.

وقال عن حديث سجود الشمس تحت العرش، وهو مما يسمى آحادا ص:(٣٦٦): "ووصف الشمس بالسجود، وخطا بها من الحقائق الإلهية التي لايستقل العقل بدركها فيجب تلقيها عن أصحاب الشرائع بالقبول. . . "اهـ.

وليس هذا هو مذهب الطوفي وحده بل شاركه فيه كثير من الأصوليين ـ كما

سبق ـ فهذا الإمام جلال الدين أبو محمد عمر بن محمد بن عمر الخبازي المتوفى سنة ٦٩١هـ [١] يقول في المغني في أصول الفقه ص١٩٧ عن المشهور: "لكنه لما كان من الآحاد في الأصل ثبت به شبهة سقط بها علم اليقين" اهـ، وقال في خبر الواحد ص١٩٥: " ولأن خبر الواحد يفيد غلبة الظن، وأنها توجب العمل لعدم توقفه على اليقين بيقين" اهـ.

وقال علاء الدين محمد بن أحمد السمرقندي الحنفي الفيقه الأصولي المتوفى سنة ٥٥٣هـ [٢]: في ميزان الأصول: "وأما حكم المشهور مسألة اختلف مشايخنا فيه ولا رواية عن أصحابنا. قال بعضهم إنه يوجب علم طمأنينة لاعلم يقين، وهو اختيار الشيخ الإمام أبي زيد ـ رحمه الله[٣] ـ ، وقال عامة مشايخنا: إنه يوجب علما قطعيا[٤]".

قال ابن بدران الدمشقي[٥] في المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص ٢٠٤:

---

(١) انظر ترجمته في البداية والنهاية ١٣/ ٣٣١، وشذرات الذهب ٥/ ٤١٩، والأعلام ٥/ ٦٣.

(٢) ترجمته في الأعلام ٥/ ٣١٧، وفيه وفاته سنة ٥٤٠هـ، ومعجم المؤلفين ٨/ ٢٦٧.

(٣) عبد الله بن عمر بن عيسى الدبوسي، نسبه إلى دبوسية بين بخارى وسمرقند، الفقيه الحنفي القاضي العلامة، كان أحد من يضرب به المثل في النظر واستخراج الحجج، وهو أول من أبرز علم الخلاف. توفي في بخارى سنة ثلاث وأربعمائة عن ثلاث وستين سنة. (انظر شذرات الذهب ٣/ ٢٤٥ ـ ٦٤٦، والبداية والنهاية ١٢/ ٤٦).

(٤) هامش ص١٩٤ من المغني في أصول الفقة.

(٥) هو عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم محمد بدران، وأسلافه يعرفون بآل بدران وهو أيضا يعرف بابن بدران. ولد في دوما إحدى القرى القريبة من دمشق، توفي سنة ٣٤٦هـ(انظر مقدمة المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص٢٥، بتحقيق د. عبدالله التركي)

*وعن الإمام أحمد في حصول العلم بخبر الواحد قولان: أحدهما: لايحصل العلم به، وهو قول الأكثرين، والمتأخرين من أصحابه، قال الطوفي: وهو الأظهر من القولين، والثاني يحصل به العلم، وهو قول جماعة من المحدثين[1]*.

ونرد على الطوفي ـ عفا الله عنه ـ وعلى من وافقه في خبر الآحاد بما يلي:

١ـ أن خبر الآحاد حجة شرعية في أصول الشريعة الإسلامية إذا رواه مسلم عاقل عدل تام الضبط، وتلقته الأمة بالقبول تصديقا له وعملا بموجبه كما سبق، فهو يفيد العلم وإلا كيف نعمل بموجب قول لا نعتقد القطع بصحته ونعتد به[2].

٢ـ أن خبر الواحد يفيد العلم لأن الأمة إنما تقبل خبر العدل، والعدل قد حرم عليه أن يقول ما لا يعلم كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ (٣٣) ﴾ [3] فوجب ألا يقول العدل إلا ما يعلم، وذلك يفيد العلم[4].

٣ـ أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ

---

(١) وقد تبع الطوفي في ذلك ابن قدامة المقدسي في روضة الناظر ص٩٩ وما بعدها.

(٢) انظر فتاوى ابن تيمية ١٨/ ٤٨ ـ٥١.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٣٣.

(٤) ناقش هذا الطوفي عند حديثه في الإشارات عن الآية المذكورة في سورة الأعراف. وردهُ، وردهُ مرجوح.

وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ (١٢٢) ﴾[1]. والطائفة: اسم للواحد فصاعدا. والأمر يشمل الدين كله أصوله وفروعه، والواحد المتفقه العدل برهان عند الله، ولذا كانت الوفود تقدم إلى النبي ﷺ الواحد والاثنان والجماعة لتتعلم الإسلام بأصوله وفروعه، ثم يأمرهم بتبليغ ما حفظوه إلى قومهم. وليس في ما تعلموه ما يوجب العمل دون العلم[2].

٤ـ أن الطوفي ـ رحمه الله ـ ذكر أن الآحاد: "من الحقائق الإلهية" وأنها حق واقع والحقائق الإلهية إنما تفيد اليقين، وإلا فكيف تسمى حقائق إلهية. وكيف تكون حقا واقعا وهي لا تفيد إلا الظن؟.

وأخيرا فإن مسألة إفادة الآحاد للعلم أو عدم إفادته له موضوع نزاع بين العلماء الأصوليين، وبين العلماء المحدثين من الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة وغيرهم.

والله المستعان.

---

(١) سورة التوبة، آية: ١٢٢.

(٢) انظر رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد ص ٤١ـ٤٤.

## وفاتـــه:

سبـق أن ذكرت بأن المؤرخين للطوفي قـد اختلفـوا في تحديد عـام ولادته، فكذلك الحال في سنة وفاته.

ففريق منهم كابن حجر، وابن رجب، وابن العماد، واليافعي[1]، وغيرهم: يذكرون أنه توفي في رجب سنة ست عشرة وسبعمائة للهجرة[2].

وبعضهم كالسيوطي وغيره يرى أنه توفي في رجب سنة عشر وسبعمائة[3].

ويرى البعض كابن مـكتوم ـ كما نقله عنه السيـوطي ـ أنه توفي سنة إحدى عشرة وسبعمائة[4].

والأصح من هذه الأقوال أنه توفي في رجب سنة ست عشرة وسبعمائة ببلد الخليل ـ عليـه السـلام ـ أو هو لم يسـبق ذلك التـاريخ على الأقل، لعـدة أمـور ألخصها فيما يلي:

---

(١) عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي، المؤرخ، الباحث، المتصوف من شافعية اليمن، نسبة إلى يافع من حمير. ولد ونشأ بعدن، توفي بمكة سنة ثمان وستين وسبعمائة للهجرة. [انظر الدرر الكامنة ٢/ ٢٤٧، والأعلام ٤/ ٧٢].

(٢) انظر الدرر الكامنة ٢/ ١٥٥، وذيل طبـقات الحنابلة ٢/ ٣٦٩، وشـذرات الذهب ٦/ ٤٠، ومرآة الجنان لليـافـعي ٤/ ٢٥٥، وإيضـاح المكنون ١/ ٤٤٣، ٢/ ٦٧، وفـهـرس الخزانة التـيـمـورية ٣/ ١٨٤].

(٣) انظر بغـيـة الوعاة للـسـيـوطي ص ٢٦٢، وكـشف الظنون ١/ ٥٩، ٧١، ١٤٣، ١٧٤، ٢١٩، ٢٤٨، ٢٥١، ٣٦٣، ٧٥٦، وإيضاح المكنون ١/ ٨٣، ٢/ ٩٦.

(٤) انظر بغية الوعاة للسيوطي ص ٢٦٢.

١- اتفاق الحفاظ المترجمين له على ذلك كابن حجر وابن رجب وابن العماد.

٢- أن أكثر من ترجمـوا له ذكروا أنه حج في سنة أربع عشرة وسبـعمائة، وجاور في سنة خمس عشرة وسبعمائة، ثم خرج إلى الشام فبقي في بلد الخليل حتى مات ـ رحمه الله ـ.

٣- أنه ذكر في آخر كتاب شـرح الأربعين النووية: أنه فرغ منه يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة وسبعمائة في مدينة قوص من أرض الصعيد[١].

٤- أنه ذكر في نهاية كـتابه: "الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصـولية" أنه ابتدأ فيه يوم السـبت في الثالث عشر من شهر ربيع الأول، وفـرغ منه يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيـع الآخر كلاهما في سنة ست عشرة وسبـعمائة ببيت المقدس[٢].

**أقـوال النـاس فيـه:**

أجمع الذين أرخوا للطوفي على علو منزلته العلمية وتفننه النادر حتى الذين اتهموه بما ذكرت سابقا.

فـابن رجب وهو ممن تحامل عليـه قـال في أول ترجمـته: ". . . الفـقيـه

---

(١) انظر آخر مخطوطة شرح الأربعين بدار الكتب القومية بمصر.

(٢) انظر آخر مخطـوطة الإشارات الإلهية المصورة على الـفيلم رقم ٩٢٣ بمكتبة المخطوطات بجـامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

الأصولي المتفنن نجم الدين أبوالربيع. . .[1]".

وقال في موضع آخر: "جالس فضلاء بغداد في أنواع الفنون وعلق عنهم[2]".

وقال: "وكان فاضلا صالحا[3]".

وقال ابن حجر ـ رحمه الله ـ: "واشتغل في الفنون وشارك في الفنون وتعانى[4] التصانيف في الفنون [5]، وكان قوي الحافظة شديد الذكاء. . . وقرأ العلوم وناظر وبحث ببغداد [6]".

وقال: "وقرأت بخط القطب الحلبي [7]: كان فاضلا له معرفة، وكان مقتصدا في لباسه وأحواله متقللا من الدنيا [8]".

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٣٦٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تعانى: العاني: الأسير من عنا يعنو، وهو طول الحبس فقد حبس نفسه حتى صار أسيرا لها [انظر منال الطالب في شرح طوال الغرائب لابن الأثير ص ٢٢٩، ٦٦٥ ولسان العرب ١٥/ ١٠١ فما بعدها].

(٥) هكذا التكرار في الألفاظ في الدرر.

(٦) الدرر الكامنة ٢/ ١٥٤.

(٧) عبدالكريم بن عبدالنور بن منير، حافظ الحديث، حلبي الأصل مصري الإقامة والوفاة من تصانيفه: تاريخ مصر، ومشيخة، وغيرهما توفي سنة ٧٣٥هـ (انظر البداية والنهاية ١٤/ ١٧١، والأعلام ٤/ ٥٣).

(٨) الدرر الكامنة ٢/ ١٥٤.

ونقل ابن حجر أيضا قول الكمال جعفر في الطوفي: "ولم يزل ملازما لاشتغال وقراءة الحديث والمطالعة والتصنيف وحضور الدرس معنا إلى حين سفره إلى الحجاز، وكان كثير المطالعة، وأظنه طالع أكثر كتب الخزائن بقوص، وكانت قوته في الحفظ أكثر من الفهم [1]".

كما نقل عن الذهبي قوله: "وكان ـ أي الطوفي ـ دينا ساكنا قانعا، ويقال أنه تاب عن الرفض [2]".

وقد وصفه ابن العماد بقوله: "الأصولي المتفنن [3]".

وقال صاحب جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص ٣٦: "البحر العباب، والغيث الذي يقصر عنه السحاب أبوالربيع سليمان نجم الدين. . . ".

قال الصفدي: "كان فقيها شاعرا أديبا فاضلا قيما بالنحو واللغة والتاريخ، مشاركا في الأصول [4]".

وقال اليافعي: «كان على بدعته كثير العلم عاقلاً متدينًا» [5]

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١٥٧.

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٥٥.

(٣) شذرات الذهب ٦/ ٣٩.

(٤) بغية الوعاة للسيوطي ص: ٢٦٢.

(٥) مرآة الجنان ٤/ ٢٥٥.